الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة يحي فارس –المدية–

كلية الآداب واللغات

قسم :اللغة العربية وآدابها

صورة الآخر في الروايـــة الجزائريـــة المعاصرة اليهودي في رواية أنا وحاييم للحبيب السائح(أنموذجا)

مذكرة مقدمـــة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربيـــة وآدابهـــا

تخصص: أدب عربـــــي حديث ومعاصر .

إعداد الطالبـــة :

- شادي فاطمة الزهراء

إشراف الأستـاذ:

– العربـي حسين

السنة الجامعية:2020/2019

شكر وتقدير

بداية أخص شكري لرب الوجود الذي نحمده ونستغفره ونتوب إليه

فالحمد لله حبا ،الحمد لله شكرا ،الحمد لله في السراء والضراء ،الحمد لله دائما وأبدا

ثم والدي الذي حمد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم .

كما أخص جزيل الشكر للأستاذ المشرف(العربي حسين)،الذي ساندني ووجهني

طيلة مسار البحث .

كنت نعم الأستاذ ونعم الوفي ونعم الطبيب،لأنك في كل مرة حاولت بنائي من جديد

كما أتوجه بتحية واحترام للوفية التي ساندتني رغم كل الظروف (رشيدة) حفظها الله

والى كل من ساهم في إنجاز البحث ولو بالشيء القليل ،إلى كل أساتذة جامعة المدية

قدوتنـــا إلى المستقبل .

الإهداء

إلـــى فقيدة قلبـــي وأيامي ورحلة عمري وحياتي ،نبع الحنان (أمـــي)

قرة عيني (رحمها الله)

إلى صاحب القلب الكبير والوجه النضير ،تاج الزمان، صدر الحنان حبيبي الغالي و

(الأب المثالـي) حفظه الله وأطال في عمره.

إلى من أعتبرها متممة لروح أمي (زوجة أبي) أطال الله في عمرها

إلى شريك حياتي ورفاق قلبي ونور حياتي ونور عيني ميلود

إلى إخوتي وأخواتي عبد المجيد، محمدأمين ،سعيدة ،صبيرة، نورهان

إلى أحبائي وأهلي، عقبة ، أمينة ، فاطمة الزهراء .....

إلى كل أمة نبينـا الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا

فاطمة الزهراء

مقدمة

مقدمـــة

تعتبر دراسة صورة الآخر أحد أهم مجالات الأدب المقارن التي شغلت الكثير من النقاد والدارسين، وذلك لكشف ملابسات العلاقات وإبراز الأنماط السلوكية في المجتمعات المختلفة لوصفها تعبيرا أدبيا يوحي إلى نظامين مختلفين بحمولتهما الثقافية .

حيث باتت مسألة التعايش بين الأديان والثقافات المتعددة من القضايا الملحة والحساسة في الحياة المعاصرة .

كما يعتبر الآخر الكلية المزدوجة للكينونة الذاتية التي توجهت لها الرواية الجزائرية بشكل خاص، باعتباره أحد التيمات الأكثر سخونة وتوترا والتي حملت العديد من النقاشات والسجلات داخل المجتمع التي تقوده الأغلبية نحو هضم حقوق الأقليات ،كون الجزائر أولى النماذج المضطهدة أمام الاستعمار الذي عمل جاهدا لطمس هويتها وأصالتها .

وفي ظل التطورات السياسية التي يشهدها العالم في الوقت الراهن اشتد الاهتمام أكثر بالشخصية اليهودية،وصل إلى التدليل المفرط في التناول ،حيث ترجم هذا الاهتمام إلى صورة دفاعية يعود إلى الطبيعة الإشكالية للشخصية اليهودية التي تتعدد إشكالياتها ،وهو ما دفع إلى تحديد نمط معين من التعامل من قبل الروائيين الجزائريين أمثال "واسيني الأعرج" في روايته "البيت الأندلسي " وآمين الزاوي في روايته"أخر يهود بتمنطيط.ذلك ما

دفعني إلى تخصيص دراستي في هذا البحث حول "صورة الآخر في الرواية الجزائرية المعاصرة" في سياق تحري المنهجية المعمول بها في دراسة الصورة من منظور الأدب المقارن، دراسة نقدية تحليلية .

منتقية بذلك آخر إصدارات الروائي الجزائري الحبيب السائح "أنا و حاييم " التي يطرح حولها مسألة التعايش في ظل الدولة الوطنية غداة الاستقلال ،و التي اختارت الأحادية و الشرعية الثورية سندا في بناء نظام شمولي لم يستطع استيعاب مكونات المجتمع الجزائري المتعدد .

و انطلاقا من إشكالية صورة الآخر و مسألة التعايش وفي ظل هذه الرؤية الجديدة للحبيب السائح وهو يستشف العلاقة مع الآخر، وفي ظل الموضوعات التي طرقتها رواية "أنا و حاييم"، يمكن أن نطرح مجموعة من الأسئلة حول كيفية تأسيس للعلاقة مع الآخر.

*ماهي أبرز تجليات صورة الآخر في رواية "أنا و حاييم " ؟.وهل يمكن للمجتمع الجزائري أن يتعايش مع اليهود الذين لطالما أخذوا صورة العدو المغتصب ؟

وهل اليهود نموذج واحد أم هناك صور مختلفة؟ كل هذه الأسئلة و أخرى سنجيب عليها من خلال هذا البحث.

أما بالنسبة لأهم الأسباب الرئيسية التي قادتني إلى اختيار الرواية يكمن في كونها الأقرب اجتماعيا من بين الأجناس الأدبية باعتبارها المعلم الحضاري و الثقافي التي تنهض به العقول الراقية ممثلة بذلك نوعا من الذاكرة الجمعية المميزة لكل جغرافية بشرية .

أما فيما يخص الأسباب الأكاديمية فقد تمثلت في المساهمة لإثراء هذا النوع من الدراسات النقدية التي تعتبر الرافد الأساسي للأدب المقارن في الجزائر، إضافة إلى تعزيز دراسات مابعد الكلونيالية وذلك بضرورة الالتفات إلى الرواية الجزائرية المعاصرة التي هي بحاجة أكبر للاهتمام والدراسة مع تسليط الضوء على ما هو مميز وجديد عند الحبيب السائح .

ولأن الصورة لها هدف واضح في تشكيل الفعل الثقافي في سياق ثنائية الأنا والآخر كان من بين أهم أهدافي الأولية :رصد العلاقات الأنا بالآخر في رواية" أنا وحاييم" ومحاولة معرفة إلى أي مدى وفق الحبيب السائح في مساهمته الأخيرة في ترتيب الصورة المتعددة للحياة الاجتماعية والثقافية لليهود؟

معتمدة في ذلك المنهج الوصفي والتحليلي كوني بصدد دراسة وتحليل نفسية الآخر اليهودي والظروف الاجتماعية والمعطيات الثقافية له.

استوى البحث في صورته النهائية على فصل تمهيدي وفصلين وخاتمة ؛وظف الفصل التمهيدي لرصد أهم تحولات الرواية الجزائرية عبر مراحلها.

وخصص الفصل الأول لصورة الأخر في مرجعية الثقافة وذلك بتفكيك المصطلح ثم إعادة ترتيبه حتى يتسنى للمتلقي فهم الرسالة الواردة مع ضرورة الإشارة إلى صورة المعطى الثقافي للأخر بالتطبيق على الرواية واستنباط أهم المعاني الذي تمحور حولها.

فيما خصص الفصل الثاني لدراسة أهم التحولات السوسيولوجية والسيكولوجية للأخر في مجال رصد العلاقات التي تربط كلا المفهومين بالرواية مع ضرورة الإشارة أيضا بالتطبيق بغية فهم وتحليل صورة الأخر المغلوطة في الوعي العربي والجزائري بغرض المساهمة في إزالة سوء الفهم الذي ينزع إلى إعلاء شان "الأنا" وتحقير"الأخر".

وفي الأخير توصلنا إلى مجموعة من النتائج كإجابة لكل الأسئلة التي تتمحور حولها الرسالة .

وكما هو معروف لايخلوا أي من الصعوبات ولعل أولها صعوبة حصولي على الرواية؛إذ لم تكن متوفرة على نطاق المكتبات أو حتى على الصيغة الالكترونية مما استدعى الأمر باقتنائها من دار النشر.

أيضا بعض المعوقات التي مثلتها استحالة وصولي إلى المراجع والمصادر التي تتمحور حول موضوع البحث في ظل انتشار وباء كورونا المستجد باستثناء المجموعة القيمة التي قدمتها ماجدة حمود مما جعلني استند على بعض المقالات الالكترونية.

وبعون الله سبحانه وتعالى وفضله وعطفه علينا تم إعداد هذا البحث وبمساعدة أستاذي المشرف "العربي حسين"الذي أتوجه له بجزيل الشكر والعرفان على تشجيعه لي على موضوع الدراسة وتسديد خطواتي البحثية بملاحظاته القيمة والعميقة التي لا غنى لي عنها . ولا يفوتني أيضا أن أخص بالشكر لكل من ساهم في مساعدتي ولو بالشيء القليل

من أساتذة الجامعة وخارجها أو حتى زملائي وزميلاتي الذين كانت لهم بصمة في اكتمال هذا البحث.

الفصل التمهيدي
الرواية الجزائرية المعاصرة

الفصل التمهيدي: الرواية الجزائرية المعاصرة

ا-مرحلة السبعينيات

ب-مرحلة الثمانينات

ج-مرحلة التسعينيات

الفصل التمهيدي: الرواية الجزائرية المعاصرة

تعد الرواية من أهم ضروب النتاج الأدبي بوصفها جنسا تعبيريا وشكلا فنيا ولد من رحم المجتمع لتتخذ بذلك الواقع منطلقا أساسيا للتعبير عن روح العصر من خلال القضايا الاجتماعية والثقافية والسياسية للفرد والجماعة .

حيث شهدت الساحة الأدبية الجزائرية بعد الاستقلال تحولات كثيرة 'كانت بمثابة المنهل الذي تفجرت عنه الكثير من الأعمال الإبداعية قصد اكتمال اللوحة الفنية تراوحت بين ماهي مكتوبة باللغة العربية المتأخرة بالقياس مع الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية .

حيث يفسر بعض الكتاب والمفكرين هذا التأخر إلى أسباب وعوامل عديدة شملت مختلف المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية، وربما أول سبب يعود للأوضاع المزرية والظروف القاسية التي عاشتها الجزائر من ويلات الاستعمار.

" إن الوضع السياسي والاجتماعي في مقدمته الاستعمار الذي وضع الثقافة القومية في وضع شل فعاليتها وحركتها نتج عنه تأخر الأدب بالجزائر عامة ولاسيما أحدث فنونه الرواية الجزائرية وقد كان اضطهاد اللغة العربية ومحاولة القضاء عليها من طرف الاستعمار الفرنسي عاملا أساسيا في تخلف الأدب[1]

[1] عبد الله ركيبي :تطور النثر الجزائري الحديث ،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع ،د ط، ص 255

ولعل أول الأسباب يعود للمجال الثقافي الذي نظرا لما تعرضت إليه الجزائر من أساليب قمعية حرمتها من الاحتكاك بثقافة الوطن العربي كغيره من الثقافات العربية واللحاق بسيرورة التطور والعصرنة ،إضافة إلي الوضع الاجتماعي وماشاهدته البلاد من(بطالة وفقر وجهل...) وما تلاها من تمزقات اخترقت كينونة الفرد والمجتمع ،والتدهور الاقتصادي الذي عمد إليه الاستعمار الفرنسي قصد تطبيق سياسة التجويع والخضوع.

ثم إن نشأة الرواية الجزائرية تعود إلى الفترة الحديثة كغيرها من الأجناس" الغير مفصولة عن نشأتها في الوطن العربي حيث لها جذور عربية وإسلامية مشتركة كصيغ القصص القرآني والسيرة النبوية ومقامات الهمذاني والحريري والرسائل والرحلات "[1] .

ثم إن الحديث عن الرواية المعاصرة يحمل في طياته الكثير من اللبس فأثناء قيامي بالبحث عن التاريخ المحدد لظهور الرواية المعاصرة أي الانطلاقة الفعلية لها، وجدت أنه من الصعب تحديد فترة الظهور بل استحالة ذلك.

حيث يرى بعض النقاد أن حداثة الرواية الجزائرية لايتجاوز عمرها النصف القرن، هذا في حالة إذا سلمنا أنَّ أول نص روائي جزائري مكتوب باللغة العربية ويحمل كل المواصفات الفنية المتعارف عليها نقديا هو" ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة ؛أي أول عمل روائي

[1] شادية بن يحيى :الرواية الجزائرية ومتغيرات الواقع ،ديوان العرب ، منبر حر للثقافة والفكر والأدب السبت 4ايار – مايو-2013 م.

https// :www.diwanalarab.com

ناضج دون أن ننكر أسبقية المحاولات الأولى البسيطة والمتمثلة في" غادة أم القرى" لأحمد رضا حوحو،"الطالب المنكوب" لعبد الحميد الشافعي، و"الحريق" لنورالدين بوجدرة

ولو أمعنا النظر نجد أن أحداث الثورة وما سايرها من تخلف وجهل وفقد و حرمان أثر كبير في ميلاد الرواية الجزائرية؛ فالرواية كما عرفها" ميشال بوتور" هي شكل من أشكال القصة ، والقصة تتجاوز حقل الأدب تجاوزا كبيرا في المقومات الأساسية لإدراكنا الحقيقة فنحن حين نبدأ الكلام حتى موتانا محاطون بالقصص دون انقطاع، في الأسرة أولا ثم في المدرسة ، ثم من خلال المطالعات واللقاءات[1].وقال أيضا< أن الفرق بين حوادث الرواية وحوادث الحياة ليس في أننا لا نستطيع التثبت في صحة هذه، بينما لا تستطيع الوصول إلى تلك إلا من خلال النص الذي يظهرها فحسب ، بل هي إلى ذالك (أي حوادث الرواية) ولنستعمل تعبيرا معروفا أكثر" تشويقا" من الحوادث الحقيقية>[2]

ومما لا شك فيه أن الرواية في إطارها العربي العام والجزائري الخاص خضعت لمجموعة من التغيرات والتحولات عبر مسارها الزمني ، والمتمثلة في محاولة الأديب أبراز إبداعاته الفنية في لوحة جمالية رائعة، نعم رائعة وكأن التاريخ أراد لأقلامه ترسيخ الواقع المرير على صفحات الكتابة الأدبية، حيث يقول بشأنها نزيه أبو نضال" لعل السيمة الأبرز في حركة الإبداع الروائي العربي هي التحول ورصد التحولات سواءا في الأشكال والتقنيات أو

[1] ميشال بوتور :بحوث في الرواية الجديدة ، وزارة الثقافة والرياضة ، دولة قطر ، يوليو 2019،ص5

[2] المرجع نفسه ص 9

في المضامين وقد لاحظت من خلال متابعتي للرواية العربية كيف ينصب المبدع عن نفسه شاهدا ومؤخرا لرصد الحركة الاجتماعية التاريخية بمجملها،وكذا الشهادة على ذاته المفردة، ولكن من خلال تشابكها بالجماعة وباشتباكها معا"[1]،الشيء الذي جعلها تتسم بطابع جديد حيث تمت الإشارة إليها بمصطلح جد أصيل ،هو" الرواية الجديدة " وهي الكتابة التي ظلت تواجه العديد من الصعوبات منها ما يتعلق بموقف النقاد ومنها ما يتعلق بالنشر و التوزيع .

ومن خلال بحثي وتتبعي للرواية الجزائرية المعاصرة وجدت أنها مرت بثلاث مراحل نظرا للتغيرات الحاصلة والنابعة من صميم الواقع الأليم الذي لحق بالجزائر إبان الثورة وغداة الاستقلال، ومن الملاحظ إن الرواية الجزائرية صبغت بصبغة ثورية خالصة علاوة على مسايرتها النظام الاشتراكي.

تحولات الرواية الجزائرية ومتغيرات الواقع:

لقد شهدت الرواية الجزائرية المعاصرة تحولا نوعيا على مستوى الكتابة والتخييل والبنية كونها المادة الدسمة الحبلى بالأفكار المتعطشة لتصوير أبعاد الواقع في مختلف مجالاته الاجتماعية والثقافية والسياسية والعلمية والاقتصادية بهدف إعادة ترتيب صفحات التاريخ العظيم ليتناقل من جيل لأخر من جهة ومن جهة أخرى علاجا للقارئ الذي تعب

[1] نزيه أبو نضال :التحولات في الرواية العربية ،المؤسسة العربية،المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط1،2006م،ص13

من أمور الحياة الشقية ،فضلا عن ماتعكسه من إجراءات تتقصى المتغير النوعي في الرواية والمتغير الأسلوبي .

فرواد الرواية الجديدة في بحثهم عن الشكل الجديد والشاذ لا يعتمدون على تقنيات واحدة تشكل نهجا ،انما يتفقون على رؤية واحدة قوامهارفض الرواية التقليدية[1].

فترة السبعينيات:

وتعتبر الانطلاقة الفعلية لظهور رواية جديدة وناضجة نابعة من جوف مكلوم تجرع قبح الآلام مواجهة بذلك قدر لا محتوما خلف وراءه سمفونية مختلفة الأوزان لبلد يمكن أن نقول عنه بلد الأحزان ،حيث كان ذلك من خلال أعمال عبد الحميد بن هدوقة في' ريح الجنوب'و'مالا تذروه الرياح' لمحمد عرعار و'اللاز'و'الزلزال'لطاهر وطار.

وبظهور هذه الأعمال أمكننا الحديث عن تجربة روائية جزائرية متقدمة إذ أن العقد الذي تلي الاستقلال مكن الجزائر من الانفتاح الحر على اللغة العربية ،وجعلهم يلجئون إلى الكتابة الروائية للتعبير عن تضاريس الواقع بكل تفاصيله وتعقيداته سواء كان ذلك بالرجوع إلى الثروة المسلحة، أو الغوص في الحياة المعيشية الجديدة التي تجلت ملامحها

[1] رامي أبو شهاب: في مفهوم الرواية الجديدة،القدس العربي 27ديسمبر 2018.
https// : www.alquds.co.uk

من خلال التغيرات الجديدة التي طرأت على الحياة السياسية والاقتصادية و الثقافية[1].

وهي فترة اتسمت بالشجاعة لما اكتسبه الروائي من حرية قصد الانفتاح نظرا للطابع السياسي الجديد المناقض للاستعمار، لكن لو تتبعنا مسيرة الرواية في هذه الفترة نلاحظ غيابا مؤقتا حتى عام 1970م ولعل الأسباب الرئيسية لهذا الغياب يعود إلى حيثيات الثورة قبل الاستقلال و بعده وما قام به الاستعمار من شل كل سبل التطور والازدهار.

يقول واسيني الأعرج : تمثل في الاستعمار بكل أشكاله الذي سعى إلى منع أي تطور وازدهار في المجال الاقتصادي وحتى الثقافي وغلق كل منابع العلم والمعرفة حتى لا يتمكن الشعب الجزائري من تفتح أوراقه على الثقافة الأدبية وخصوصا ما يتعلق باللغة والدين الذي يتجلي في الزوايا والمساجد[2]

فمن الأسباب التي تجعل الأديب يتبنى فن الكتابة الروائية المواقف والأحاسيس التي تولد المشاعر الجياشة في نفسية الأديب الروائي اتجاه قضايا ولدت من رحم الآلام كذلك "القمع والاضطهاد" قد يدفع إلى تبني مواقف ما كان ليتبناها لو أن الإطار السياسي كان مختلفا" [3]. أما بعد الاستقلال رأى الأديب أن الرواية هي الفن الأقدر على التصوير

---

[1] شادية بن يحيى،الرواية الجزائرية ومتغيرات الواقع ، 4أيار (مايو)،2013م .

[2] واسيني الأعرج :اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1986م ص89

[3] شادية بن يحيى،الرواية الجزائرية ومتغيرات الواقع، 4 أيار (مايو)2013 .

الواقع، لذلك لجا إليها مستعينا بها عن الشعر الذي انتهت صلاحيته بزوال الظروف الذي اكتنفت المرحلة التي نشأ فيها والأهداف الإصلاحية والثورية التي نشأ من أجلها .

وقد شكلت هذه منعرجا حاسما في تاريخ الجزائر المعاصر حيث ارتبط الأدب الجزائري في مرحلة السبعينات بمصطلح الثورة والواقعية الاشتراكية بما تحمله من إيديولوجيات ، وبما عرفته هذه الفترة من إصلاحات شيدت على المستوى والفكري والاقتصادي باعتبارها نتاج هذه المرحلة وتجلت مظاهرها من خلال رصد الواقع والوقوف عند اعنف الإشكالات التي تجلت بعد الاستقلال وأفرزها النظام السياسي بكل ما تحمله من خصوصيات

فتمكنت من الولوج في عمق الثقافة فخاصية الأطروحة هي خاصية تجعل من الأدب دعاية تمتلك القدرة على التوجيه نحو المعنى الثقافي وتحريك الشعور وطرح موضوع متعلق بالواقع المجتمع[1].

وبذلك حمل الأدباء رسالة مقدسة للوطن الحبيب تمثلت في الرواية باعتبارها المرآة العاكسة لألام الأفراد و الشعوب ساعين بذلك إلى تحقيق كيان الدولة وبناءها الذي لطالما كانت من أحلام الشهداء.

[1] امنة بلعلى:المتخيل في الرواية الجزائرية (من التماثل إلى المختلف) ،دار الإصدار للطباعة و النشر تيزي وزو،2005، ص52 (بتصرف)

كما عمد الروائي العودة إلى الثورة المسلحة والذي تميزت نصوصه بمفردات الثورة كونها الحدث العظيم الذي يشهد له التاريخ وينحني له ساجدا تبعا لما تلاها من آهات وآلام اتجاه ما خلفه الاستعمار الذي كان أخبث المستعمرات في العالم.

وفي ظل هذه الظروف كان أيضا من مميزات هذه الفترة التي اعتبرت نافذة أمل سادها التفاؤل لمستقبل أفضل مبني على إيمان يحدوه العودة الحتمية لازدهار الجزائر والتي كانت تيماتها مستمدة من الواقع الجزائري ،غير أن الكتابة الفنية سادها نوع الضبابية والسوداوية والذي وصفها البعض بالأزمة الفاصلة بين الرواية السبعينية والثمانينية.

ب-فترة الثمانينات:

وهي مرحلة التحدي التي ترمي إلى إحداث التجريب والخروج عن نمطية السرد القديم نتيجة للتحولات الاجتماعية و الفكرية التي شهدها العالم ، و منه رفع الادباء أقلامهم بإسم التغيير و التجريب فكان ذلك على مستوى اللغة و تقنيات الكتابة.

فاختلفت الكثير من النصوص الروائية بموضوع الثورة وتمجيدها نظرا لعظمتها والتي صورها البعض بالأسطورة منزهين بذلك البطولات الجليلة لشهدائنا الأبرار رحمة الله عليهم .

يقول بن جمعة بوشوشة " كانت التجربة الروائية للكتاب الجزائريين في هذه الفترة نتيجة للتحولات التي حدثت في مجتمع الاستقلال، حيث مثل هذا الجيل اتجاها تجديديا حديثا

في النمط الأدبي الجزائري "، ومن التجارب الروائية في هذه الفترة نذكر روايات واسيني الأعرج مثل " واقع الأحذية الخشنة " سنة 1981م و"أوجاع رجل غامر صوب البحر " 1983م ، ورواية "نوار اللوز" أو"تغريبية صالح بن عامر الزوفري "سنة 1982م التي يستثمر فيها التناص مع تغريبية بني هلال" [1]

شهدت هاته الفترة قائمة طويلة لرواد الرواية الجزائرية المستفيدين من تقنيات الرواية الجديدة سواءا العربية أم العالمية وان كانت أعمال هؤلاء ذو قيمة محدودة فكريا وجماليا بسبب عدم امتلاكهم الوعي الكافي والذي يعتبر شيء طبيعي نتيجة الويلات والأساليب القمعية الذي شهدها المجتمع الجزائري عامة والأديب خاصة .

كما سعى عامة هؤلاء إلى أنماط روائية أخرى وهذا ملاحظ من عناوين أعمالهم ومن أمثلة ذلك "زمن التمرد " سنة 1985م لحبيب السائح و"رائحة الكلب " سنة1985م لجلالي خلاص ،"معركة الزقاق" سنة 1986م لرشيد بوجدرة "تجربة في العشق"سنة 1988م لطاهر وطار وغيرها من الروايات الكثيرة ،وبذلك تعتبر مرحلة الثمانينات بداية تبلور المفاهيم الأيديولوجية والجمالية.

[1] بن جمعة بو شوشة:التجريب و حداثته السردية في الرواية العربية الجزائرية ،المطبعة المغاربية للطباعة و النشر، ط 1 ،2005 ،ص9.

على الرغم من هذا التحول إلى أن الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية لم يتح لها تخليق قطيعة فنية مع رواية السبعينات ،على مستوى الرؤية الفنية وأساليب التعبير،إلى درجة يعتقد فيها الدارس بان مرحلة الثمانينات كانت مرحلة شغور ،لأنها كانت –بشكل ما–استمرار فترة السبعينات ،فكتاب الجيل السبعيني مازالوا حاضرين ،كما لم تتخلص روايات الجيل اللاحق من الرؤية التي أنتجتها فترة السبعينات، وظلت بشكل عام تشكل استمرارية على مستوى الإشكال والمضامين لروايات المؤسسين. [1]

وخلاصة هذا القول أن رواية الثمانينات ظلت تكملة لمرحلة السبعينات دون أن تحدث أي تغير سواءا على مستوى الشكل أو المضمون ، فالتحول كان عبارة عن تجديد على مستوى اللغة وتقنيات الكتابة فقط بخلاف رواية السبعينات التي لم ترقى إلى مرحلة النضج والاكتمال نتيجة الواقع الصادم الذي تعرض له الشعب الجزائري من طرف الاستعمار اللعين الذي طبع أساليبه القمعية في مخيلة كل جزائري صغير أو كبير .

و بالتالي رواية الثمانينات كانت عبارة عن بشرى خير تنبأ ببداية الوعي للكتابة الروائية الذي كان أكثر جرأة وملامسة للواقع وأكثر انفتاحا على الثقافة والمجتمع.

مرحلة التسعينات :

[1] رحال عبد الواحد :التجريب في التص الروائي ،رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتورة العلوم في الأدب الحديث، جامعة العربي بن مهيدي،أم بواقي،السنة الجامعية 2014 ،2015،ص 21

والتي تعتبر مرحلة المأساة الدموية أو كما تم تسميتها فترة العشرية السوداء نظرا للظروف السياسية التي شهدتها البلاد وما ترتب عنها من عنف وإرهاب.

وقد تميزت هذه الفترة بعدد حافل من الروايات التي اتسمت متونها السردية بنوع من المحنة والسوداوية وهو ما أدى إلى التحول في الكتابة الروائية الجديدة .

إن الإرهاب ليس حدثا بسيطا في حياة المجتمع، وقدلا يقاس بالمدة التي يستغرقها ولا بعدد الجرائم التي يقترفها بل فبفضاعتها ودرجة وحشيتها ،وعندما يتعلق الأمر بالجزائر فان الإرهاب تقاس خطورته بتلك المقاييس جميعا ،إذ استغرق مدة غير قصيرة لكن انشغال الناس به في سعيهم اليومي وأرقهم الليلي لم يمنع بعض الكتاب من تسجيله بل إن ثقله هو الذي يفرض على الكاتب حالة من الحضور يصعب عليه أن يتنصل منه [1].

وما يمكننا استخلاصه "أن وحشية الإرهاب وأساليبه القمعية كانت الانطلاقة الفعلية لميلاد رواية ذات متون سردية جديدة دون إغفال النظر عن المدة التي استغرقها وانشغال الناس عامة والأدباء خاصة بالحدث قبل فوات أوانه وهو الأدب الذي تم تسميته بالأدب الإستعجالي.

[1] شادية بن يحيى:الرواية الجزائرية و متغيرات الواقع ،ديوان العرب منبر حر لثقافة و الفكرو الادب السبت 4 ايار (مايو) 2013 wwwdiwanalarab.com: //https

كما يقرُّ إبراهيم سعدي في مفهوم الأدب لاستعجالي "يعكس نظرة تسعى إلى ربط الرواية بحاجات السوق "

الكتابة تكشف عن عبقريتها الخاصة في قدرتها على التحول إلى ملجأ يعتصم به الكاتب من هول الطوفان العارم،والى سلاح في يده هو الأعزل الذي لا يجيد استعمال سلاح أخر سوى الكتابة، ،محملا إياها كل المخاوف والأحزان والشطط وصراخه المبحوح.[1]

حيث اختار الأديب هنا الكتابة كسلاح له تحت ضغط الأزمة رغم وجود حالة التمزق والإحباط جاعلا من قلمه اللسان الناطق عن أمته من جهة ومن جهة أخرى إثباتا لذاتية الروائي أين تعددت تيمات الرواية التسعينية التي نشأت في ظروف استعجالية من قلب المحنة التي تعرض لها الشعب الجزائري من وحشية وعنف الإرهاب مواكبا كل تفاصيلها فتوالدت التيمات بين الموت والإرهاب والعنف والرعب والمنفى وغيرها. يقول عامر مخلوف بشان النصوص التي واكبت المأساة وملكت اتجاهات مختلفة منهم "من أعلن تمرده ورفضه لواقع الموت داعيا إلى استرجاع القيمة الايجابيةللمجتمع...

ومن الكتاب من فضل التفوق حول نفسه.وهم قلة.حيث اختاروا الماضي الثوري المشرق ملاذا لهم وقد اعتبروا أن إصلاح الواقع الاجتماعي الراهن عملية مرهون نجاحها بالرجوع

[1] عمر بوذيبة :مدخل رواية الازمة ،الاثنين 26 ،مايو،2014

https// :wwwomarboudiba.piogspot.com

إلى القيمة الثورية، وهذه نظرة مثالية هدفها تجاوز ماسي الواقع فحسب ومن الروائيينمن اختار المغامرة في التجريب والتحديث. [1]

وهو الأمر الذي يوصف بالشكل الطبيعي يرجع إلى ذاتية الأديب، خاصة وأن فن الكتابة الجديدة ينطلق من التجربة الذاتية للواقع المأزم وتعبيرها عنه بمقومات فنية وجمالية عصرية في لوحة تشكيلية مصورة بذلك مختلف أبعاد الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي للجزائر .

ومنه كان تركيز الدراسات في هذه الفترة يتمحور أغلبها حول البنية التشكيلية والدراسات الداخلية للواقع الصادم والتي تعددت تيماتها ضمن التيمات التي سبق وذكرتها.

ذلك إن مرحلة التسعينات تعد فترة إعادة صياغة نصوص السبعينات والثمانينات وفق رؤية جديدة تعكس اكتساب الوعي الذي يدعوا إلى تحول الذات والمجتمع. فإن

كانت مرحلة المأساة الدموية هي مرحلة تغيير الأنماط السياسية الاجتماعية و الجمالية و الالتفاف حول هاجس الموت باعتبارها سمة الراهن، فان كتاب ما بعد المأساة الدموية ينزعون كل على طريقته إلى صياغة متخيل مختلف، توجهه مرجعيات مختلفة . [2]

---

[1] عامر مخلوف :الرواية و التحولات في الجزائر،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دط،دمشق، 2000 ،ص90(بتصرف)

[2] أمنة بلعلى:المتخيل في الرواية الجزائرية من ،(المتماثل إلى المختلف)،ص14

وهو الأمر الذي كنت أشرت إليه سابقا والذي يعود إلى ذاتية الأديب ؛ حيث هناك من الأدباء من اختار الارتباط بالمأساة الدموية كونه عايش الأحداث بتفاصيلها ومنهم من أراد لكتاباته أن تكون تعبيرا عن رؤى فنية جمالية لإحداث ما بعد المأساة الدموية قصد إحداث تحول في شكل الأنماط السردية والبنية الداخلية .

إلا أن بعد نهاية الأزمة راح الروائيون إلى تبني تيمات جديدة مختلفة المشارب حيث قرر التخلص من التقوقع الذي أصابه تلك الفترة و انتهاج هواجس مختلفة شملت الفرد و الجماعة و منه إلى (أنا)و(النحن).

إذا فالرواية هي شهادة على واقع ،وشهادة على حضور ذات المثقف المعذبة فهي تجسد في أحد أوجهها حضور المثقف و محنته في رواية الأزمة أنها ثقافة الوطن المجروح [1]

ومنه معالجة مختلف التحولات الطارئة على المجتمع بوصفها الفن الذي استوعب كل المضامين الاجتماعية، وتكفل بنقلها بعمق شديد فوظيفته "الفن هي دائما أن يحرك الإنسان بكليته وأن يسمح "للأنا" بالتماثل بحياة الآخرين ،وان يمكنها مما لم تكنه، وما

[1] ينظر ،شادية بن يحيى ،الروائية الجزائرية متغيرات الواقع، ديوان العرب

هي جديرة بأن تكونه ....فالفن ضروري لكي يستطيع الإنسان أن يفهم العالم ويغيره،ولكنه ضروري أيضا بسبب السحر الذي يلازمه. [1]

وذلك مكنت بدأت به حديثي حول تعريف الرواية على أنها أهم ضروب النتاج الأدبي بوصفها جنسا تعبيريا وشكلا فنيا ولد من رحم المجتمع .

[1] عبد اللطيف حني : الرواية الجزائرية بين الأزمة و الفاعلية الكتابة،الأستاذ محمد الأمين شيخة ،المدونة الأكاديمية للأدب و النقد ،الثلاثاء، 29مايو2012

dr.cheikha.blogspot.com

الفصل الأول
صورة الآخر في مرآة ثقافة الأنا

الفصل الأول: صورة الأخر في مرآة ثقافة الأنا

I. صورة الأخر:

1-مفهوم الصورة.

2-مفهوم الأخر.

3_مفهوم صورة الأخر .

II. صورة المعطى الثقافي للآخر

1-الهوية

2-حوار الحضارات

الفصل الأول: صورة الأخر في مرآة ثقافة الأنا

مفهوم صورة الآخر:

1-مفهوم الصورة :

1-1- لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور، مادة (ص.و.ر) الصورة في الشكل، والجمع صور، وقد صوره فتصور، وتصورت الشيء توهمت صورته ،فتصور لي ،والتصاوير، التماثيل.

قال ابن الأثير: الصورة ترد في لسان في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء و هيئته وعلى معنى صفته ،يقال:صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته وصورة الأمر كذا أي صفته فيكون المراد بما جاء في الحديث أن أتاه في أحسن صفة[1].

الصورة : الشكل: والتمثال المجسم وفي التنزيل العزيز لقوله تعالى"الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاك فَعَدَلَك فِي أَيِّ صُورةٍ مَاشَاء ركَّبَكَ" سورة الانفطار الآية 08.

-وصورة المسألة أوالأمر :صفتها والنوع ، يقال هذا النوع على ثلاث الصور.

-وصورة الشيء: ما هيئته المجردة وخياله في الذهن أو العقل [2].

---

[1] ابن منظور :لسان العرب ،ج4،دار إصدار، بيروت، دت،"باب صاد "،ص473

[2] مجمع اللغة العربية:المعجم الوسيط ،مكتبة الشروق الدولية مصر،ط4 ،2005 باب" ضاد" ص528

2-1 -اصطلاحا:

يرى جابر عصفور أن الصورة "طريقة خاصة من طرق التعبير أو وجه من أوجه الدلالة تنحصر أهميتها فيما تحدثه من معنى من المعاني من خصوصية وتأثير ولكن أيا كانت هذه الخصوصية أو ذاك التأثير، فان صورة لن تغير من طبيعة المعنى في ذاته، أنها لا تغير إلا من طريقة عرضه، وكيفية تقديمه"[1]

أما أحمد حسن الزيات يقول "والمراد بالصورة: هو إبراز المعنى العقلي -أو الحسي- في صورة محسنة، وهي خلف المعنى والأفكار المجردة، أو الواقع الخارجي -من خلال النفس- خلقا جديدا [2]

ويرى عبد القادر القط أن الصورة "الشكل الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الكاملة في القصيدة مستخدما طاقات اللغة وإمكانياتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني[3]

---

[1] جابر عصفور :الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ،المركزالثقافي العربي،ط3، 1992،ص9

[2] أحمد حسن الزيات :دفاع عن البلاغة ،عالم الكتب ،القاهرة ، ط2 ،1967م،ص62.

[3] عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر المعاصر ،مكتبة الشباب ،القاهرة ،1978م، ص 435 .

2 - مفهوم الآخر:

2-1-لغة :

جاء في لسان العرب الآخر بالفتح: أحد الشيئين وهو على اسم أَفْعَلَ والأنثى أخرى ، إلا أن فيه معنى الصفة لأن أفعل من كذا لا يكون إلا في الصفة والأخر بمعنى غير كقولك رجل آخَرُ وثوب آخَرُ وأصله أَفْعَلُ من التَأخُر فلما اجتمعت همزتان في حرف واحد استثقلت فأبدلت الثانية ألفا لسكونها وانفتاح الأولى قبلها .

وقوله تعالى :"فآخَران يقُومَان مقَامَهُمَا" قال الفراء معناه أو آخرون من غير دينكم من النصارى واليهود [1]

وقد جاء في معجم الوسيط الآخر:أحد الشيئين ،ويكونان من جنس واحد، قال المتنبي :

وَدَعْ في كلَّ صوتٍ غير صوتي فإنَّني أنا الصائح المحكيُّ والآخرُ الصدى

وبمعنى غَيْر قال امرؤ القيس :

إذا قلتُ هذا صاحبٌ قد رضيتُه وقَرّت به العينانِ بُدّلْت آخرا[2]

أما في قاموس المحيط :"الآخر" بفتح الخاء بمعنى غير و الجمع بالواو والنون وأُخر[3]

---

[1] ابن منظور : لسان العرب ، ،ص65،66

[2] معجم الوسيط:مجمع اللغة العربية، "باب الألف"، مادة الآخر، ص21

[3] الفيروز أيادي ،مجمع اللغة العربية ط1،مصر 1980،باب "الألف"مادة الآخر ،ص8

2-2-اصطلاحا :

إن جدلية" الأنا و الآخر" قديمة قائمة منذ الأزل؛أي منذ الخلق الأول و التي تعتبر فرع من فروع الأدب المقارن الناتجة غالبا عن سوء التفاهم الاجتماعي و الثقافي أو الشعور المحبط و صورة الهاجس المدير المتشكلة في وعي العربي المهزوم اتجاه تفوق الآخر الذي اثبت وجوده بجدارة كقوة فاعلة و مؤثرة في الحياة الثقافية و السياسية و حتى التكنولوجية و لو أمعنا النظر في مفهوم هذا الأخير لوجدنا تعاريف متعددة حسب مختلف السياقات والتي نذكر منها الأتي:

2-3 أولأ: في القران الكريم: حيث يعتبر القران الكريم نصا مؤسسا للحوار والاختلاق ،فقد أسس منهجا حواريا فريدا – وذلك من خلال الاستناد إلى المسلمة القرآنية – باعتبار القران الكريم كلام الله الذي انزل على محمد بلغة العرب[1]

حيث وردت لفضة "الأخر" بفتح الخاء في القران الكريم خمس عشر مناسبة بصيغة الإفراد نحو " ولا تَجْعَل مَعَ الله إلهًا آخَر فتَقْعُدَ مذْمُومًا مَخْذولا" سورة الاسراءالاية22، [2]

[1] محمد زاهد جول :الأنا والآخر في الممارسة الحوارية الإسلامية، الحوار اليوم ،الخميس، 8.12.2017 https://www.alhiwartoday.net.com

[2] سعد سامي محمد :الأنا والآخر في المعلقات العشر ،رسالة ماجستير ،إشراف جنان محمد عبد الجليل ،قسم اللغة العربية وآدبها ،جامعة البصرة ، العراق 2012 ، ص 03

وكذلك قوله تعالى:"وأمَا الآخَرُ فيُصْلَبُ فتأكلُ الطَيْرُ مِن رأْسِّه "سورة يوسف الآية 41

ووردت بصيغة الجمع في اثنتين وعشرين مناسبة ،منها خمس مرات مرفوعة والباقي في حال نصب وجر نحو قوله تعالى "إنْ هذا إلَّا إفْكٌ افْتَراه و أَعَانه عَليْه قومٌ آخَرُون" سورة الفرقان الآية 4 ،وقوله تعالى "ثمَ أغْرقْنا الآخرِين "سورة الشعراء الآية 66. [1] كما يمكن استنتاج معنى الحوار والاختلاف مع الآخر في القرآن الكريم من خلال الانطلاق من المشتركات كون الإيمان بوحدة الأديان السماوية هو القاعدة الرئيسية لبناء حوار جاد و هادف بين المسلمين وغير المسلمين ،حيث يمكن الاستدلال بالآية الكريمة لتفسير صحة وبيان الاستنتاج لقوله تعالى "قُلْ يا أَهْلَ الِكتَابِ تَعَالُوا إلَى كلمَةٍ سَواء بيْننا وبينَكُم " سورة آل عمران الآية64 و قد وردت آيات كثيرة في القران الكريم التي تدعو إلى حوار هادف وبناءا مع غير المسلمين خاصة أهل الكتاب وذلك لإزالة بعض الغموض واللبس حول القضايا المختلف فيها .

أما بشان مفهوم الأخر عل انه اختلاف فقد تفسره آيات عديدة ومن بينها قوله تعالى "ومِنْ آيَاته خَلَقُ السَماواتِ والأرْضِ واخْتلافُ ألْسِّنَتِكُم وألوانِكُم إنَّ فِي ذَلك لآياتٍ للعالمين"، سورة الروم ،الآية22،وقوله تعالى "إنّ الذِين أَمَنوا والذين هَادوا والصَابئين

[1] سعد سامي محمد :الأنا والآخر في المعلقات العشر ،ص03

والنَّصَارى والمَجُوس والذين أَشْركوا إنَّ اللهَ يفْصُل بينهُم يومَ القيامَةِ إنَّ اللّهَ على كلِّ شَيء شهيدٌ " سورة الحج ،الآية 17

وغيرها من الآيات كبيان على اختلاف الفكر والعرق والألسنة وحتى اللون وتنوع الدين.

2-4-ثانيا:الآخر من منظور فلسفي :

فالدلالة الفلسفية للمفهوم تضعنا في مأزق حقيقي وإشكال، حيث يصبح الغير هو الأخر وفي نفس الوقت ليس أخرا حيث يكون هذا الأخير هو "الأنا "الذي ليس أنا معناه التواجد في قلب الإشكالية .

الآخر هو الكلية المزدوجة للكينونة الذاتية وتقويضها في الآن نفسه ، وهو يتداخل ويتمرأى في سلسلة غير منتهية ، تبدأ من أدق الإنشطارات الذاتية في علاقة الذات بالذات، عبر زمن شديد الضالة ،ولا تنتهي إلا بانتهاء الوجود البشري في الزمان والمكان ، فالفرد يمكن أن يكون أخر حتى بالنسبة إلى نفسه مدة قصيرة ويمكن أن يتحول إلى أخربعد مدة قصيرة أيضاوكل شخص هو أخر بالنسبة لأي شخص على وجه الأرض[1]

أما جون بول سارتر فيعرف الأخر على أنه الوجود للغير" هو الشعور ولكن منظورا

[1] صلاح صالح :سرد الآخر،الأناوالآخر عبر اللغة السردية ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ، المغرب ، ط1، 2003 ، ص 10

إليه من حيث علاقته بالشعورات الأخرى ، أي من وجهة النظر الاجتماعية والوجود مع الآخرين ،وهو التخارج الثالث للوجود لذاته وهو بعد جديد للوجود فيه يوجد الأنا أو الذات خارجا كموضوع بالنسبة إلى الآخرين [1].

ويقول أيضا (الغير هو الأخر ،أي أن الأنا ليس إياي، فنحن ندرك هنا إذن سلبا بوصفة بنية مكونة لوجود الغير والافتراض المشترك بين المثالية والواقعية هو أن السلب المكون هو سلب تخارج فالغير هو من ليس إياي ومن لست أنا إياه). [2]

أما دريدا فيقّر أن الغير هو الكائن الوحيد الذي يحتفظ بصورة ملامحي وهو الوحيد الذي له القدرة عل امتصاص ملامح هويتي عل عكس عملية الانغلاق التي تمارسها ذاتي داخل ذاتي [3]

أما الفيلسوف الفرنسي تودروف الذي دعا لحوار الآخر على أنه يكون حوارا صادق ليكون فيه صوت الأخر مسموعا ولكن إلا على حساب صوت المرء نفسه ولا عن طريق محو

---

[1] جان بول سارتر :الوجود والعدم بحث في الأنطولوجيا الظاهرتية ، ت،، عبد الرحمان بدوي ، منشورات دار الآداب ، بيروت ، ط1 أغسطس ، 1966،ص5

[2] المرجع نفسه، ص ن

[3] هبة عادل :أسرار الفلسفة التوفيقية المعاصرة (فلسفة الآخر ، الغير ، الآنا)،جامعة بغداد، كلية الآدب ،قسم الفلسفة ،ص7

صوت الأخر ،هذا ومادمت أنا والأخر موجود فلن تنتهي الأصوات الطالبة بالحوار طلبا للعيش رغيد هادئ [1]

أما الأخر عند كانط هو أخر الكائن العاقل ،أنا غير محتاج أن أسمعه لكي أعرف بما أدين به إليه [2]

إذن أعتبر الآخر مفهوم متعدد المعاني ومختلف باختلاف وجهات النظر والرؤى البحثية فلسفيا ونفسيا حوله، وخاصة باعتباره قضية مركزية في جل الدراسات بالنظر إلى هيمنته في الكتابات المعاصرة في مختلف المجالات.

ثالثا : الأخر من المنطلق الفكري :

مما هو معروف إن الأدب المقارن هو الدائرة التي تشمل دراسة مجالات معرفية مختلفة عمن طريق البحث عن روابط التشابه والقرابة والتأثير ،والتأثر حيث كان من أهم الاهتمامات والمنطلقات الذي يتمحور حولها هذا الأخير دراسة العلاقات القائمة بين الآنا والأخر .

---

[1] هبة عادل :أسرار الفلسفة التوفيقية المعاصرة (فلسفة الآخر ، الغير ، الآنا)، ص8

[2] تسيليفيان آغاسانسكي :نقد المركزية ،حدث الآخر ،ت:منذر عياشي ،دارثينوى للدراسات والنشر والتوزيع،دط،2014،ص17

انطلاقا من هذه الاختلافات حاولت تسليط الضوء على أهم المفاهيم التي تطرق إليها بعض المكرين والنقاد لمصطلح "الآخر" الذي تتمحور حوله دراستي ،ومن أهم التعاريف نذكر مايلي :

تقول ماجدة حمود في تعريف الآخر <هو المختلف" عرقيا ودينيا "الذي كان شريكا في الحضارة الإسلامية، ولم يكن عدوا صليبيا فقط> .[1]

ويظهر الأخر أيضا بصورة (الحلقة المسيطرة في عمليات الصراع وديناميَاته)،[2]

ويعتبر الأخر المختلف الذي يبدو ديمقراطيا حياته الخاصة وفي إبداعه الروائي ،لكن في ممارسته السياسية يقهر المختلف عنه خاصة العربي والمسلم ويصبه في قالب واحد هم(الإرهاب ،الكسل ، القذارة ، اضطهاد المرأة .....)،[3]

---

[1] ماجدة حمود:صورة الآخر في التراث العربي ،الدار العربية للعلوم الناشرون، ش، م، ل، ط1،2010، ص8

[2] محمد صابر عبيد سوسن البياتي :جماليات التشكيل الروائي عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد ،ط1 ، 2012 ،ص72

[3] ماجدة حمود: إشكالية الأنا والأخر (نماذج روائية عربية)عالم المعرفة، دط ،2013 ،ص9

2-5:مفهوم صورة الآخرة :

إن المتأمل في بدايات الشكل تشكل الأدب المقارن يلاحظ انه مبني على إشكالية سردية تقوم على مقابلة بين الذات المدركة (الآنا) و(الأخر) الغربي نتيجة لسوء الفهم الحاصل بين كلا الطرفين والذي غالبا ما يكون ثقافي أو اجتماعي .

كما يعتبر الأدب من أرقي الفنون الذي سعت إلى رسم الصورة المقارنة بين الثنائية عامة والأخر خاصة ؛ هذا الأخير الذي تفوق في ماضيه وحاضره وحاول أن يهيمن على هوية العالم ويغرس جذوره في كل مجالات الحياة. ومن أهم المفاهيم التي تتمحور حول "صورة الأخر" نذكر منها :

يُقِر شعيب حليفي أن صورة الأخر تظهر دوما مرتبطة بالأنا ضمن فعالية جدلية لا تقبل الخطأ، فهو يدخل في علاقة مع الأنا، استأثرت بأهم الصور الروائية المشكلة لسجل غني يمثل العلاقات المحمومة أو المتوترة التي تبحث عن الالتحام والتوافق أو تصور الخراب الداخلي لهذه الشخصيات[1].

أما ماجدة حمود فترى أنه الصورة العدائية التي يقدمها أدب قومي ما عن شعب أخر أو شعوب أخرى ... [2].

---

[1] شعيب حليفي :هوية العلامات في العتبات وبناء التاويل دار الثقافة، المغرب،2005 ، ص73

[2] ماجد حمود :صورة الأخر في التراث العربي، ص9

إذن تظهر صورة الأخر بصورة المتفوق والمهيمن والمركزي والمتسلط والصانع للحضارة دوما. [1].

وانطلاقا مما تطرقت إليه من تعاريف لصورة الآخرة استنتج أن هذا الأخير قد مثل صورة مرعبة يمكن تشبيهها بالإرهاب الفكري نظرا لما وصل إليه من هيمنة وسيطة وما حققه من مركزية الشيء الذي ولَّد صورة معادية لآنا الخائفة التي تشعر بالنقص والهزيمة وبالتالي تشويه صورة تراثنا وذواتنا بأيدينا .

حيث أصبح بإمكاننا وصف العلاقة المتوترة التي وصلت ذروتنا بين الأنا والأخر بالثقافة المنتصرة والثقافة المهزومة على اعتبار الهزيمة السبب الرئيسي الذي دفعنا لمعرفة الأخر وتصحيح رؤيتنا للأخر ولذواتنا.

I. أ. ثقافة الأخر في الرواية العربية:

تعددت مشارب أبطال الرواية العربية وتنوعت مرجعياتهم الفكرية و السياسية والثقافية وتراوحت بين حضور الذات والأخر، وهو التعالق الذي لجا إليه الكثير من الروائيين اللذين استطاعوا تصويرهما بأشكالهما وصورهما المتعددة ،بصورة مقنعة من خلال الاستعانة بأهم المقومات المساعدة في تحديد هاتين الشخصيتين المتضادتين وما

[1] محمد صابر عبيد ،سوسن البياتي :جماليات التشكيل الروائي، ص73

لحق بهما من علاقة محمومة في أغلب الأحيان باستثناء التطابق الموجود بينهما في بعض الروايات كراوية "أنا وحاييم " للحبيب السائح التي تتمحور حولها دراستي.

حيث كشفت النصوص الروائية حضورا قويا للثنائية بصورة فعالة غير أنني سأخصص الدراسة حول تمظهرات الآخر وأسلط الضوء على صورة المعطى الثقافي لهذا الأخير الذي استطاع فرض مركزيته وهيمنته في مختلف مجالات الحياة الشيء الذي جعل العرب بين حلم النهضة والخوف على الهوية .

إن تحديد المفاهيم من الوسائل الهامة لأن تعريف المفاهيم ينشئ اللبنة الأولى في تحديد الصورة المرجو دراستها لذلك سأقوم بإبراز المفاهيم العامة للثقافة والهوية وذلك حتى ترتسم الصورة الثقافية للأخر المشكلة في وعي العربي (الأنا) .

1-مفهوم الثقافة:

1-1 لغة : بمعنى ثَقِف الشيء ثقفًا وثقَافا وثقوفَةً: حذقه" يقول ابن دريد ثقفت الشيء حذقته وثقفته إذا ظفرت به": قال الله تعالى "فإمَّا تثقفَنَهُم في الحربِ"[1].سورة الأنفال57

[1] ابن منظور :لسان العرب–دار المعارف،القاهرة، المجلد الأول ،باب الثاء ، ص 392

أما اصطلاحا : فيقترح ادوارد تايلور مفهوما للثقافة حيث اعتبرها "هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون، وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع. [1]

أما مالك بن نبني فينظر للثقافة على أنها تتحول إلى مفهوم مكتمل له قوة التحديد في اللغة العربية ،لذلك كانت الضرورة حسب راية اقترانه بالمفهوم الأوروبي الذي اكتسب قوة التحديد ،وتحول إلى مفهوم مكتمل من جهة شروط بناء المفهوم[2]

حيث يمثل السرد إستراتيجية خطابية أساسية بالنسبة للذات في التمثيل وصياغة هويتهاعن طريق تأكيد اختلافها مع صورة الأخر ضمن أنماط متعددة ، وهو ما يدعونا إلى ضرورة الحديث عن اختلاف الثقافي الحاصل بين الطرفين وما ترتب عنه من قضايا مطروحة المتمثلة في الهوية ،حوار الحضارات ،إضافة إلى سياسة التعايش .

والمقصود بالاختلاف الثقافي هو"اختلاف ثقافة عن أخرى بوصف تلك الظاهرة المحسوسة وتشهد بها سمات عديدة في الثقافة نفسها، أبرزها اللغة والمعتقدات والتاريخ والتقاليد

---

[1] عزيز الخزرجي :محنة الفكر الإنساني،الحوار المتمدن .
https://www.m.ahewar.org.com ،2017-02-21

[2] زكي الميلاد:المسألة الثقافية من أجل بناء نظرية في الثقافة ،مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ،بيروت ،ط 2،2015 ، ص 46.

والمنتجات المعرفية و الذوقية من علوم وآداب وفنون وكذلك أنماط السلوك وطرق التعبير إلى غير ذلك. [1]

ويعود تفسير ذلك إلى الأهمية البارزة في دراسة الاختلافات قصد التأقلم بين الحضارتين وفتح أبواب التواصل والاتصال والتبادل الثقافي الايجابي .

1-3 -الهوية :

والتي كانت من أبرز اهتمامات الرواية الجزائرية المعاصرة، بل تعتبر من التيمات الكبرى التي تطرق إليها الروائيون قصد تقديم صورة حية لمحاولة التشبث بالخصوصية الثقافية والاجتماعية ،فمسألة الهوية مرتبطة أساسيا بالكينونة والذات وعلاقتها بالمكان والجسد ،حيث يأخذ الحديث عن الهوية في النقد حيزا هاما باعتبار متعددة التعاريف ويعرفها حسن حنفي حسنين "الهوية خاصية للنفس لا لليدين هي حالة نفسية وليست حالة بدنية طبقا للقسمة الأفلاطونية السينوية الشهيرة بين النفس والبدن"[2]

أما جاك دريدا يرى أنها "حركة توليد الفوارق والخلافات إذ إنها انتقال من طرف التعارض إلى طرف التوافق "[3].دون الإغفال عن المفاهيم العديدة التي اتسمت بها هذه الأخيرة باختلاف الثقافات وجهات نظر العلماء والمفكرين من زوايا مختلفة كالفرابي وابن رشد

---

[1] سعد البازغي: الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف المركزالثقافي العربي الدارالبيضاء المغرب ص13

[2] حسن حنفي حسين :الهوية المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ط1، 2012، ص121

[3] مهدي جعفر : الهوية وإشكالية الإختلاف ،الحوار المتمدن،8/5/ 2017

https://www.ahewar.org.com

واليكس ميكشيلي وميلر ورائد الاستشراق ادوارد سعيد الذي نلاحظ من خلال اسمه مفارقة للهوية"تناقضات بين شخصيته المتغربنة وعلاقته السياسية بوطنه الفلسطيني"[1]

ولو عمقنا الدراسة تجد هناك تقاطعات في تعريف الهوية بين ادوارد سعيد ومحمود درويش والتي تعتبر بمثابة شراكة فكرية وفلسفية وإنسانية جامعة بينهما حيث نظرا للهوية الإنسانية بالآتي:

والهوية؟ قلت

إن الهوية بنت الولادة لكنها

في النهاية إبداع صاحبها، لا

وراثة ماض- أنا المتعدد...في داخلي خارجي المتجدد-لكنني

انتمي لسؤال الضحية- لو لم أكن

من هناك لدرّبت قلبي على أن

[1] بيل اشكروفت ،بال اهلويا :إدوارد سعيد "مفارقة الهوية"،ت:سهيل نجم ،نينوى للدراسات والنشر ،والتوزيع ،دار الكتاب العربي ،ط1، 2002، ص14

يُربي هنا غزال الكناية..... [1]

مما يجعلنا نستنتج أنها صورة شديدة التعقيد تتضارب فيها التصورات والرؤى وحتى المناهج، حيث يرجع هذا التضارب في الثقافة العربية إلى خطاب الهوية في حد ذاته يشكل أزمة في الدلالات والقيم مفادها تمزق الذات العربية والرضوخ لواقع الاستلاب والتبعية، أي تغييب للهوية العربية أمام الغيرية ماجعلني أخصص الدراسة من زاوية معينة تحيل إلى طرح مفهوم الهوية دون إقصاء الأخر أو بتعبير أوضح"الهوية ومسألة الأخر "

أما الحديث عن مسألة الأخر من وجهة نظري إن الذات هي نفسها الأخر أي إن الإنسان هو حامي للحياة الإنسانية حارزا على أمنها وفي نفس الوقت هو ما قام بتدميرها وهدمها ولعل تفسير ذلك يعود إلى تضارب في سيكولوجية الحياة الذي يؤدي إلى الإنسلاخ والتجرد من هوية إلى أخرى وذلك يكون حسب المواقف الذي تتعرض لها الذات الإنسانية وهي في حالة ضعف ولعل أبرز مثال يمكن ذكره .

وانطلاقا من المفهوم العام للصورة المذكور سالفا وقدرتها البلاغية التي تعمل على التأثير في المتلقي والذي يسهل في عملية انتشارها وسهولة تداولها كان بإمكاننا الوصول بعد إجراء بعض التقييات وعمليات البث لمفهوم الصورة للأخر.

---

[1] سعاد العنزي:تقاطعات الهوية عند إدوارد سعيد ومحمود درويش، القدس العربي ،24.09.2014 https://www.arab.48.com

البحث لمفهوم الصورة الثقافية للأخر وبالضبط عند دانيال هنري باجو الذي قال" كل صورة تربط بوعي، كيفما كان حجمها وكذا بـ (أنا) في علاقتهما بالأخر، وبالـ"هنا"في علاقتهما بالـ"هناك"وتصبح الصورة من ثمة نتيجة لبعد دال بين واقعين ثقافيين [1]

الشيء الذي يدل على التعالق بين ثنائية الأنا والأخر وبالتالي وجود تقارب بين الثقافتين؛ إذن وظيفة الصورة هنا تمكن في تقديم واقع ثقافي أجنبي من خلال تأسيس علاقة بين وعيين مختلفين، وهو ما أحاول رصده من خلال تطبيق هذه الدراسة على موضوع بحثي في الرواية الجزائرية "أنا وحاييم "للروائي للحبيب السائح الصادرة عام 2018م الفائزة بجائزة كتارا للرواية العربية سنة2019م في دولة قطر.

والسؤال يطرح نفسه: كيف تجلت إشكالية الهوية في التجربة الكلونيالية وما بعدها ؟

سأجيب أن تيمة الهوية تتجلى أولا من خلال عنوان الرواية "أنا وحاييم" الذي تتقاسمه شخصيتين مختلفتين أحدهما تم الإشارة إليها بضمير المتكلم (أنا)أي (أرسلان) والأخرى (حاييم) اليهودي الجزائري الذي تجنس بالهوية الفرنسية.

إضافة إلى ما تم التصريح به في الغلاف الخلفي للرواية كما هو مذكور في الأسطر الأولى "يبدو الروائي الجزائري الحبيب السائح في هذه الرواية مشغولا كأشد ما يكون

[1] سعيد العيماري :صورة الآخرومسألة الهوية ، شبكة الألوكة ،2016.03.01.
https :www.aluka.net.

الانشغال بهاجس الهوية وقضايا وطنية عميقة صاغها في عالم روائي طافح برائحة الجزائر زمن الاستعمار الفرنسي وغداة الاستقلال ".

ما يقول بشأنه حسن حنفي "فالهوية ليست موضوعا صوريا ميتافيزيقيا مجردا بل هي قصدية يشعر بها الباحث"[1].

فالروائي الحبيب السائح من خلال روايته أراد فتح دفتر من دفاتر الذاكرة الجزائرية المستعمرة ليتطرق بذلك إلى إعادة كتابة التاريخ وصياغة الأمور المسكوت عنها وهذا مايتجلى في صفحات وأحداث الرواية التي نسجت بخيوط بارعة دقيقة التصوير.حيث سعى السائح إلى تجسيد مفهوم الاختلاف كما سبق أن ذكره من خلال عنوان "اناوحاييم" وهذا المفهوم يتمثل في أن الثورة هي منجز حداثي ؛إذ لا تثور على هويتها المختلفة التي تشكل نسيجها المتين [2]

وكما هو معروف أن علاقة الرواية بالتاريخ علاقة وطيدة أشبه ما يكون بالتزاوج نظرا للارتباط الوثيق بينهما، إلا أن هذا لا ينفي بعض الفواصل الظاهرة كون التاريخ يستند لحقائق واقعية في المقابل الرواية التي تعتمد على نسيج أحداثها عن طريق التخيل .

---

[1] حسن حنفي: الهوية، ص15

[2] لونيس بن علي "انا وحاييم"للحبيب السائح رواية عن الجزائر المتعددة جزائر 1-10-2019 ultra https:// algerie ultrasawt.com

ومقابل هذا التمييز يقر بول ريكور "إن الطابع المشترك للتجربة الإنسانية المميز والمتفصل والموضح من لدن فعلا الحكي في جميع أشكاله إنما هو الطابع الزمني [1].

وهذا ما سعى إليه الروائي الحبيب السائح حيثما قام بنسيج روايته بخيوط رفيعة كما يصفها البعض لكن الغرض من إعادة كتابة التاريخ هنا هو خرق لأفق انتظار القارئ الذي اعتاد أن يكون القلم سلاح للدفاع عن الجزائر ووجده مختلفا من خلال رواية "أنا وحاييم "التي تعتبر مرافقة عن اليهود الذين عاشوا في الجزائر بغرض إعادة الاعتبار لليهود المهمش .

إذن أنا أشاطر رأي الناقد الجزائري لونيس بن علي حين ما قال "لا أظن أن السائح كتب لنا رواية عن ثورة التحرير الجزائرية؛ فهذه الثورة وما سبقها من ظروف وما تلاها من الأحداث كانت فقط مجرد خلفية لطرح سؤال الاختلاف "[2].

الاختلاف الذي لمح إليه الروائي في الصفحات الأولى للرواية حينما وصف ارسلان ديكور منزل"حاييم"الذي تشبث بهويته إلى أخر لحظة من حياته فقال "كل شيء كل الأثاث ظهر لي في مكانه على الحال التي غادره عليها حاييم آخر مرة."[3].

---

[1] د.نادركاظم: الهوية والسرد ،دار الفراشة للنشر والتوزيع ط2 ،2016، ص128

[2] لونيس بن علي :أنا وحاييم، https:// ultra algerie ultrasawt.com

[3] الحبيب السائح: انا وحاييم،دار ميم للنشر ،دارمسكيلياني،ط1، 2018

وأرسلان في استحضاره لذكرياته مع صديقه حاييم ينميمون الذي توفى منذ فترة قليلة اثر مرض السلطان حاول أن يثبت تلازم صداقتهما رغم اختلاف هوية كل منهما حينما قال "وهاهي غرفة أبويه وقد صارت غرفة نومه بعد وفاتهما ....على أحدهما أبا جورة وعلى الآخر شمعدان المينوراه سباعي المواسير وكتاب التوراة بتجليد بني غامق " [1] وكأنه يريد إثبات تقبله للأخر الذي تعرض للإقصاء منذ زمن طويل وبذلك يكون إثباتا لهويته المهشمة.

فتنامي شخصية "حاييم " في الرواية وتطورها بين الأحداث هو بالضبط ما سعى إليه الروائي، لأننا لو تتبعنا التسجيل الخطي لفعل السرد الروائي لوجدنا "حاييم" قاد دور البطولة جنبا إلى جنب مع أرسلان، وهذا ما كنت قد أشرت إليه سابقا بشأن العنوان الذي يحمل عدة قراءات ودلالات حيث يقول صدوق نور الدين "ذلك أن العناوين لا تحمل نفس الدلالة ،فمنها ما يأتي مباشرا يحيل على محتوى العمل الأدبي ككل ،خاصة الحامل لأسماء شخصيات توجد في النص ،أولها دلالتها على مستوى البعد التاريخي والسياسي والاجتماعي [2].

ثم إن تقديم السائح الضمير على الاسم فيه نوع من التلاعب بالعنوان وله دلالة وغاية

---

[1] الحبيب السائح: انا وحاييم ص12

[2] صدوق نور الدين :البداية في النص الروائي، دار الحوار للنشر و التوزيع، سورية، ط1994،1 ص69

قيل أرسلان حصة الأسد لم تكن إلا وسيلة لكتابة التاريخ الجزائري مشكلا وراءه خلفية تتمحور حول رد الاعتبار لحاييم دون التصريح به مباشرة ؛وهذا ماتفسره واو المشاركة والمصاحبة " أنا وحاييم ".

تأخذ الروايةعلى عاتقها إعادة بناء التاريخ سردا جماليا وانعزال أرسلان في المكتبة لمدة ساعتين واستحضار ذكريات الطفولة كما هو مذكور في الصفحة تسعة عشر واندفاعه لقراءة مذكرات "حاييم" هو إصرار على ثبات هوية عبر مقاطع سردية وصفية وحوارية .

فكثيرة هي المواطن والمواقف التي تشير إلى الوعي الجديد الذي اكتسبته الأنا والإيمان بوجود وتقبل الآخر الذي لطالما واجه انتقادات قطعية بالرفض المستمر، إلا أن صمود حاييم بن ميمون أمام كل ما تعرضت له الجزائر من أزمات وصبره على وصفه ونعته بالأنديجان ومشاركته "حاييم" والانخراط في المقاومة بتوفيره الأدوية للثوار وحتى رفضه الذهاب مع صديقته "كَولدا" للزواج لدليل قطعي على هوية حاييم الجزائرية بعيدا عن ديانته اليهودية الذي أُمِر بسببها بالرحيل كبقية الفرنسيين والأقدام السوداء .

أما أهم عنصر أراد الحبيب السائح كشف المستور عنه هو الوجود اليهودي الذي خُلِطَ بالصهيونية وكأنه يعيد الاعتبار للديانات ويفسر التاريخ بإعادته إلى أصل الأنبياء عليهم السلام.

2-حوار الحضارات :

تعتبر فكرة حوار الحضارات من أهم الأفكار والمفاهيم التي اشتغل عليها الروائيون خاصة في العصر الحالي ،حيث شكلت معادلة تربع على طرفيها متضادين من ثقافتين مختلفتين ألا وهما الشرق والغرب .

فبعدما شهدت الرواية العربية عامة والجزائرية خاصة تمثيليات لهذه العلاقة القائمة على التوتر الثقافي بينهما تعيد للمتلقي ذلك التعارض بين القطبين وتمنح مهمة اكتشاف صورة الآخر من خلال تقريب الرؤى وخلق مساحات التفاهم بين الطرفين التي لطالما شهدت إشكاليات ومعوقات وُصفت بحدة التضارب .

حيث يمكن القصد من الحديث عن حوار محاول اكتشاف دور المتخيل السردي بصفته فاعلا ومشاركا ثقافيا في العلاقة الحضارية بالأخر.

وهو ما أحاول استنطاقه من خلال التنظير لأهم المفاهيم العامة التي تبرز دور الحوار وعلاقته في تقليص العراقيل بين الشرق والغرب، ومن ثَمّ وجب عليّ رصد أهم إشكالياته وعلاقاته الدينية بالآخر اليهودي من خلال المدونة التي أحببت الاشتغال عليها أنا وحاييم".

فمم هو معروف أن الإختلاف سُنّة كونية منذ أن خلق الله البشرية؛ فالاختلاف ضروري لطبيعة كل الموجودات وهذا إن دل على شيء إنما يدل على شدة توتر وقصور في الثقافة وغياب للوعي الذاتي الذي يرفض تقبل خيارات الأخر ويتجلى ذلك في قوله تعالى" وَلو شَاء ربُّك لجَعلَ الناس أمَّةً واحدةً ولا يزالون مختلفينَ" سورة هود الآية 118

غير أن الإدلال بالمفاهيم العامة يبقى من الأمور الضرورية لإزالة الإبهام حول المتلقي، ومنه جاء التعريف اللغوي للحوار عبر عدة معاجم منها" تاج العروس" حيث يقصد "بالمحاورة المجاوبة ومراجعة النطق والكلام في المخاطبة"[1]

و باعتبار الحوار ظاهرة إنسانية ينطلق من تأثيرات وأحاسيس تجول في النفس للإظهار مبدأ من مبادئها يعرفه عبد الرحمان النحلاوي الحوار (أن يتناول الحديث طرفان أو أكثر عن طريق السؤال والجواب، بشرط وحدة الموضوع أو الهدف، فيتبدلان النقاش حول أمر معين، وقد يصلان إلى نتيجة وقد لا يقنع احدهما الأخر ولكن السامع يأخذ العبرة ويكوّن لنفسه موقفا). [2] فيما يعرفها الدكتور عبد الستار الهيتي انه< أسلوب يجري بين طرفين،

[1] محمد مرتضى الزبيدي :تاج العروس، دار الفكر، بيروت،ص310

[2] عبد الرحمان النحلاوي :أصول التربية الإسلامية وأساليبه،ا دار الفكر، دمشق، ط2 ،1995،ص206

يسوق كل منهما من الحديث ما يراه ويقتنع به، ويراجع الطرف الأخر في منطقته وفكره قاصدا بيان الحقائق وتقريرها من وجهة نظره>[1].

ومنه يعتبر الحوار إحدى السمات الحضارية بين الذات والآخر لما يحمله من سبل التفاهم والاتفاق، وقد تعددت معانيه وتراوحت بين التعايش، والجدال والشورى والتوافق وغيرها من المفاهيم .وذلك جلي بوضوح في الكتاب العزيز؛ ويظهر ذلك نحو قوله تعالى " وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ " سورة العنكبوت الآية 46.

وقد اقرّ الله عزّ وجّل به منذ الأزل كما أقرّ بوجود الإختلاف، وجعل الحوار بين الطرفين الوسيلة الأنجع لإعادة تشكيل منظوراتنا وفهمنا للعالم.

أما بالنسبة للحوار بمعنى الجدال فيعتبر خير دليل قوله عز وجل «أُدْعُ إلى سَبيلِ ربِّك بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ وجَادِلْهُمْ بالتِّي هيَ أَحْسَنُ "[2].

وكذلك قوله تعالى < قدَ سَمع الله قولَ التِّي تُجادِلُكَ فِي زوجِها وتَشْتَكي إلى اللهِ واللهُ يَسْمَعُ تحَاورُكُما إنَّ اللّه سَمِيعٌ بَصيٌر>[3].

---

[1] عبد الستار إبراهيم الهيتي:الحوار الذاتي والأخر، سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط2004،1،ص40.

[2] سورة النحل، الآية 125

[3] سورة المجادلة،الآية01

فخلاصة القول إن الجدل هو من معاني ومواطن الحوار؛ لكن ليس كل جدال حوار و العكس كذلك.

كذلك الحوار بمعنى الشورى وذلك في قوله تعالى ﴿والّذِين اسْتَجَابوا لرَبِّهم وأقَامُوا الصّلاة وأمْرُهم شُورى بينَهم وممَا رزقنَاهُم يُنْفِقون﴾[1].

فالشورى إذن سبب إعادة الحياة في المجتمع ومنه تخلق الأجواء الايجابية والصحية لحرية التفكير والتعبير باعتبارها أحسن أسلوب في الحوار يمكن إيصاله إلى قلب المستمع وإقناعه.

كون تعريف الحوار وحده غير كفيل لإيصال فكرة صورة الأخر وحوار الحضارات وجب عليَّ إبراز أهم المفاهيم التي وردت لدى كثير من النقاد والمفكرين والتي تتمحور حول مفهوم الحضارة؛ الفكرة التي شهدت مناظرات وسياسات عديدة تترجم صعود الاهتمام بالعلاقة حول الحضارات على الساحة الأكاديمية .

وعلى ضوء ما تم طرحه كان من ضروري تسليط الضوء حول مفهوم الحضارة والذي اعتبره المفكر الجزائري مالك بن نبي"جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر لكل عضو فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوره"[2]

---

[1] سورة الشورى، الآية 38

[2] مالك بن نبي :مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ،دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1، 1988 ،ص42

أما صامويل هنتجتون فقد قدم تعريفا إيديولوجيا فقال "الحضارة هي الكيان الثقافي الأوسع الذي يضم الجماعات الثقافية مثل القبائل والجماعات العرقية والدينية والأمم"[1].

ومن خلال التعريفين نستنتج إن المقومات الأساسية التي يقوم عليها المفهوم العام لحوار الحضارات يمكن تخليصها كما يلي :

الدين، اللغة، الهوية، المجتمع، الثقافة، الارتباط الجغرافي....وغيرها من المقومات.

إذن المقصود بحوار الحضارات هو الوصول إلى نقاط التفاهم والاتفاق بين الحضارة الإسلامية وغيرها من الحضارات الغربية؛ وهو ما أحاول استخراجه من خلال التطبيق على نفس الرواية المذكورة سالفا أنا وحاييم "وإبراز الجوانب الإيجابية من الاختلاف وقبوله.

فالحضارات وجدت للتكامل والحوار لا للتنافر والصراع وفي هذا الصراع يقول جمال بدر الدولة.

---

[1] صامويل هنتنجتون: صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي ت:طلعت الشايب، ط2،1996،ص10simoil. schuster rochefella center 1230avenue of the amirices newyork.

"إن حركة تطور المجتمع قائمة على المشاركة والحوار أي تبادل العلم بمشكلة ثم تبادل المعرفة بحلولها المحتملة وأساليب تحقيقها ثم تعيين القرار الذي يرى كل مشارك أنه الحل الصحيح"[1]

ومنه سأحاول من خلال مشروعي المتواضع استنطاق حوار الحضارات من خلال تجليات سياسية التعايش وتنوع الديانات في رواية "أنا وحاييم" ؛فتجسيد العلاقات الحوارية في الرواية دليل على تعدد الشخصيات والأصوات المختلفة لان"الرواية تقوم على تعددية الأصوات وتعددية اللغات بسبب التنوع الكبير في الشخصيات. إن الرواية تجمع الخطابات المختلفة، وتضعها في علاقة مواجهة، وتجعلها تتعايش، وتتحاور وتتعامل مع بعضها البعض "[2]

حيث يكشف الحبيب السائح في روايته الأخيرة "أنا وحاييم "عن جانب المسكوت عنه محاولا أن ينبش في دفاتر الذاكرة الجزائرية بين زمنين؛ زمن الثورة وبداية الاستقلال.

---

[1] جمال بدر الدولة: حوار الحضارات من منظور إسلامي، الموقع الرسمي للدكتور صبري محمد خليل خيري، 30-06-2011; http:// dysabrikalil-wordpress.com

[2] شرفي عبد الكريم :مفهوم التناص(من حوارية ميخائيل باختين إلى أطراس جيرار جينيت) دورية دراسات أدبية ، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، القبة الجزائر، ع2، 2008، ص70

وهو ما يدفع بالناقد الحديث للبحث عن إستراتيجية لاكتناه المسكوت عنه أو المغيب في الخطاب الروائي إعادة إنتاجه وتأويله اعتمادا على فاعلية القراءة المنتجة. [1].

إن الحديث عن حوار الحضارات في الرواية يحيلنا إلى الصفحات الأولى التي ترسم قوة الصداقة التي فاقت كل اعتبار بين أرسلان حنيفي المسلم وحاييم بن ميمون اليهودي وهي النقطة التي تعتبر لصالح الروائي الحبيب السائح الذي عاجل لحظة مفصلية في تاريخ الجزائر.

غير أن إعادة كتابة تاريخ الجزائر لم يكن إلا لوحة فنية عمد الروائي تشكيلها لتكون سببا في إبراز تعايش الأديان والحب والحنين والانتماء بين أرسلان وحاييم.

ويظهر ذلك في السرد الإديولوجي الذي تطرق إليه السائح بصيغة الحوار حيث تظهر حركة السرد من خلال استعادة الراوي كل ذكرياته مع رفيقه دربه الأخر اليهودي؛ حين قال" تقدمت. وعند الباب الصامت، ذاك الذي رأيت حاييم يخرج منه بمحفظته قبل 28 عاما كي نتوجه معا لأول مرة إلى مدرسة جول فيري"[2].

---

[1] فاضل ثامر: المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي، دار المدى للثقافة والنشر،سورية، دمشق ط1، 2004، ص9

[2] الحبيب السائح :أنا وحاييم ،ص11

فاختيار الروائي منعرجا حاسما حول محاولته في تأليف الحضارات ودفاعه عن اليهودي ومعاكسته ما اقر به صامويل هنتجتون من صدام الحضارات تعتبر حيلة من حيل السائح ربما ليكون ذلك سببا في دخوله القائمة الطويلة لجائزة البوكر العربية .

حيث تتربع الرواية على مساحة واسعة جسدها السائح بين شبلين انعينا على قهر الاستعمار، مترصدة إياهما عين الروائي بخيوط سردية منذ طفولتهما مستعيدا ذكرياتها الجميلة خاصة في مراحل التعليم الابتدائي والدراسة الثانوية والجامعية، دون أن ننسى طقوس جيرتهما أو أعمالهما المشاغبة .

يقول أرسلان ("هل تذكر أخر عفرتاتنا؟"- تلك التي ارتعبنا خلالها من صرخة ألفونسو باتيست فينا عالقين بشجرة إجاص في بستان مزرعته قرب ضفة الوادي الغربية بالضاحية الجنوبية فقفزنا إلى الأرض وانسربنا مثل ثعلبين ماكرين) .[1]

إن التقارب بين الأنا و الأخر لن يكون إلا عبر ظلال الحب والاحترام ،الذي يتجلى بالاعتراف بخصوصية الأخر .[2]

وهو ما حاول السائح إثباته إذ لم يشكل اختلاف الدين عائقا، لهما ،لهذا حين نتأمل الجمل التالية : "حتى إذا عدت إلى غرفة النوم وجدت حاييم دخل سريره وبين يديه كتاب

[1] الحبيب السائح: أنا وحاييم، ص13

[2] ماجد حمود: إشكالية الأنا والأخر، عالم المعرفة، الكويت، دط، 2013 ، ص161

التوراة... ابتسمت. قلت في داخلي أنها ليلة مقدسة. كنت أعرف إن حاييم غسل يديه ووجه قبل أخذه كتابه. دخلت الحمام فتوضأت وعدت فأنزلت من دولاب الملابس مصحفي...ولا وقع يوما أن حاول أحدنا رد الأخر عن دينه؛ واجدين ذلك من سلوك عائلتينا ومن غيرهما من المتجاورين من المسلمين واليهود في الدرب خاصة "[1].

حيث تعتبر فكرة التعايش آلية جديدة تطرق إليها الروائي خاصة، وأن ثقافتنا التقليدية؛ أي زمن الاستعمار[2] كان هناك نوع من الاستحالة في تقلب التعايش مع الغير، رغم ما جاء به نص القران الكريم الذي يحث على ضرورة الحوار مع الأخر وتقبله واحترام عقيدته مهما كانت لقوله تعالى "وجادلهم بالتي هي أحسن" سورة النحل الآية 125 ، حيث يعود مرد هذا إلى قهر وظلم الاستعمار الذي تلقاه الجزائري على وجه الخصوص؛ الشيء الذي جرده حتى من أصول ثقافته الذي قد أمرنا الله سبحانه وتعالى بها منذ الأزل على قدر قدم خصومة قابيل لهابيل.

فالحوار مع الأخر هو "دراسة ثقافتة، ومنهج تفكيره، ووسيلة إقناعه وليس تحقيرا، أو تجريحا أو مغالطة ولا معركة فيها المنتصر والمنهزم "[3].

---

[1] الحبيب السائح: أنا وحاييم ، ص123

[2] المصدر نفسه "، ص123

[3] منصور الحلو: حوار الحضارات منشأة المعارف الإسكندرية، د ط ،2007 ،ص "أ

ثم إن تجريد حاييم نفسه من الجنسية الفرنسية بقوله"لم اعتبر نفسي يوما فرنسيا "[1] يعتبر شكلا من أشكال القومية والمواطنة، دون أن ننسى تصريحه بها منذ بداية الرواية وهذا واضح وهذا واضح في قوله "لا اشعر إني فرنسي وأرسلان مثل أخي "[2].

وهي العبارات التي تدل على التعايش الذي فاق كل اعتبار كما يشير الدكتور فارح مسرحي أنه اعتراف بالأنا المختلف.

حيث قال " أقول الأنا وليس الآخر من منطق الرواية فحينما سئل حاييم بن ميمون في الثانوية عن طبيعة هذه العلاقة التي تربط فرنسيا بمسلم غير فرنسي – انديجان– كان رده واضحا وضوح المسألة في ذهنه"[3]. فقرار الأخر الامتزاج بـ "الأنا"والتخلي عن خصوصيته يوحي للمتلقي برغبة الروائي اللاشعورية في حدوث هذا التخلي [4]. باعتباره دليلا قويا وكافيا على التلازم الوثيق بين الأنا والأخر.

لذلك وجب عليّ الحديث عن التلاقح الثقافي الذي أخذ حصة الأسد في الرواية من خلال تعدد الخطابات والمواقف بين الأنا والآخر، ومنه كشف الغطاء عن صورة اليهودي الذي يعتبر المرجع الرئيسي الذي يعتبر لأجله الرواية.

---

[1] الحبيب السائح: أنا وحاييم، ص76

[2] المصدر نفسه، ص35

[3] فارح مسرحي:عن "أنا وحاييم "للحبيب السائح ،انطلوجيا السرد العربي، 25– جانفي– 2020 https://www. alantologia.com

[4] ماجدة حمود: إشكالية الأنا والأخر "نماذج روائية عربية"ص167.

حيث يعتبر اختلاط بعض السمات الثقافية والأنماط الاجتماعية فقرة نوعية وصفت بالايجابية كونها سعت لإزاحة الحدود والحواجز بين الحضارات فهدفنا هنا ليس أن نجعل اليهودي مسلما ولا أن نجعل المسلم مستسلما لعقيدة الآخر .

إن مصطلح ثقافة أو حضارة يدل بمعناه الاثنوغرافي* الأوسع على هذا الكل المكثف الذي ينطوي في آن على المعرفة الاعتقادات ،الفنون، القوانين ، العادات أو كل ملكة أخرى أو عادة يكسبها الكائن البشري من حيث هو عضو في المجتمع[1].

إذن تطور العلاقة بين حاييم وأرسلان رغم اختلاف دياناتهما وترعرهما، في مكان واحد ودراستهما وتدرجهما في الأطوار التعليمية وتفوقهما معا كما قال أرسلان "حاييم العفريت لأنه كان مثلي شعر بارتياح، غداة اليوم الأخير من الامتحان الذي دارثلاثة أيام لم يخطر له من ممازحة في المرقد غير أنه كان يلطم وجهي بوسادته ،قائلا.

"ارتباكنا لم يكن سوى ذكرى منا نحن نسيناها " .[2]

أو صورة اليهودي حاييم المناضل الذي قرر توطيد أواصر الصداقة أكثر رغم قساوة

---

[1] أرمان ماتلار :التنوع الثقافي والعولمة ت:خليل احمد خليل، دار الفرابي، بيروت، ط1، 2008 ص18

*علم وصف الشعوب: وهو أحد علوم الإنسان ينصب على دراسة المظاهر المادية للنشاط من عادات وتقاليد

[2] الحبيب السائح :أنا وحاييم: ص47

الظروف وتشرذم المجتمع نتيجة اضطهاد الحرب بمشاركته السرية من خلال توفير الأدوية للمجاهدين.

"هذه الرفوف بكل ما فيها تحت تصرفك" فقط مورفين، ضمادات، مراهم،اسبي رين، بيني سيلين،كحول، وقطن،..." [1]

رغم ما تعرض له فيما بعد، حيث تم حرق صيدليته، إلى جانب الكثير من الظروف والتي من بينها رفضه العودة إلى أرض الميعاد مع حبيبته كولدا و الزواج منها هو في حد ذاته تضحية عظيمة قام به المتجنس حاييم، حيث اجتهد الحبيب السائح أن يكون ما يجمعهما أكثر مما يفرق بينهما، أي حاييم وأرسلان لقد أغنت الروح المسألمة فضاء الرواية، فأزهرت علاقة حب بين مسلم ويهودي، رغم الحروب التي شُنَت ضدهما، إلا أن فرق الموت بينهما؛ موت حاييم إثر مرضه بسرطان الدم.

فنأت عنهما معاني الانفتاح والتسامح وهذا ما سعى إليه السائح في جعل اليهود الجزائريين جزءا لا يتجزأ منها .

صحيح لا أنكر الرسالة التي حملتها نسائم الصداقة بين الأديان وجسدها الحبيب السائح من خلال روايته بين حاييم وأرسلان، والذي بها استطاع حقا رد اعتبار اليهود المهمش في أرض الجزائر، وبذلك استطاع رسم الصورة الحقيقية للأخر بطريقة إيجابية.

[1] الحبيب السائح :أنا وحاييم ،ص189

إلا أنني أعاتبه حول وصفه الدقيق للتضحيات التي قام بها حاييم ، أحقا يوجد هذا النوع من العلاقات في زمن الثورة أو ما بعد الاستقلال ؟ أو حتى الوقت الراهن في ظل الظروف الذي يعيشها العالم اليوم ؟.

أرى أنه وصف مبالغ فيه خاصة وإنه قام بقلب الموازين المعتمدة تعظيم اليهودي وتهميش أهم أدبيات التاريخ؛ أي تضحيات الثوار.

الفصل الثاني

الصورة الإجتماعية والنفسية للآخر

الفصل الثاني : الصورة الإجتماعية والنفسية للآخر

I. الصورة الإجتماعية:

1-المفاهيم العامة لعلم الإجتماع

2-سوسيولوجيا الأدب والرواية

3-تحولات المنظور الإجتماعي للآخر في رواية "أنا وحاييم "

II. -الصورة النفسية :

1-سيكولوجية الآخر

2-مفهوم القراءة النفسية

3-القراءة النفسية للرواية المعاصرة

4-الصورة النفسية للآخر في رواية "أنا وحاييم "

الفصل الثاني : الصورة الإجتماعية والنفسية للآخر

1-الصورة الإجتماعية للآخر:

مما لاشك فيه أن كل سرد روائي يبنى على حكاية مكتملة،يتصدى لها الكاتب بأعمال خياله فيها،فيقوم بالتصرف فيها حتى يصل إلى الصورة المرجوة التي تكفي غاية المتلقي ؛فيحرك الوقائع ويفصل فيها ويخلق أفقا من بؤر مختلفة، وبذلك تكون له الحرية الكاملة في صياغة الأحداث.حيث يتم ذلك انطلاقا من نماذج واقعية حقيقية تخللها تصورات ورؤى الكاتب لغاية مرتبطة بشخصه ،كما تنتمي هذه الدراسة؛ أي الصورة الإجتماعية في الرواية ضمن إطار علم الاجتماع الذي يقوم بدراسة المجتمعات وتقويمها من خلال المشاركات والتفاعلات الإنسانية المستمرة .

تحيل الرواية بما تختزنه من نظام اجتماعي متصور على منظومة متكاملة من العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية ولذلك يمكن أن تشكل الرواية مصدرا لدراسة تلك العلاقات على ضوء ما يقدمه علم الاجتماع ،من تحليل اجتماعي .[1]

[1] فراس حج محمد:الرواية من منظور علم الاجتماع:رواية "تايه "نموذجا ،الأيام يومية سياسية مستقلة، الجمعة29 - 10 - 2019 -https //www.al ayyam .dz

إذن يعتبر الواقع هو المدخل الأساسي للرواية وهو عامل الجذب الوحيد للقارئ، وباعتبار هذه الأخيرة سلسلة من الأحداث التي تقودها مجموعة من الشخصيات كان من الضروري التعريف بالماهية الاجتماعية المعتمدة إلا وهي علم الاجتماع.

فماهي أبرز المفاهيم العامة لعلم الاجتماع ؟وما هي أهم القضايا التي يتمحور

حولها؟ وأين تكمن العلاقة بينه وبين الأدب على العموم والرواية على وجه الخصوص ؟

1-1-المفاهيم العامة لعلم الاجتماع:

لعل أول من مهد لمفهوم علم الاجتماع ابن خلدون في مقدمته الذي أرسى دعائمه الأساسي وأعطاه اسم "علم العمران "على اعتبار هذا الأخير ينقسم إلى عدة فروعات منها:" علم الاجتماع السياسي

- **علم الاجتماع السياسي:** الذي يتمحور حول ضرورة قيام الدولة وبناءها.
- **علم الاجتماع الاقتصادي:** الذي بدوره يبحث في أشكال الكسب والصناعة والتجارة وغيرها وجهود المجتمعات في ازدهار اقتصاد الدولة.
- **علم الاجتماع الثقافي:** وهو المطلوب في هذا البحث المتواضع ،الذي يبسط جناحيه حول الآداب الفنون والعلوم من الناحية الاجتماعية .

ومن خلال هذا التقسيم يأتي تعريف ابن خلدون لمفهوم علم الاجتماع على أنه "علم مستقل بنفسه فانه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني وذو مسائل وهي

بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد الأخرى وهذا شان كل علم من العلوم وضعيا كان أو عقليا "[1].

غير أن أول من استخدم مصطلح علم الاجتماع الفيلسوف الاجتماعي الفرنسي أوجست كونت عام 1849م ،ذلك كشفا لقوانين المجتمع وربطه بأسرار الطبيعة.

وقد اخترت تعريف ابن خلدون أن يترأس قائمة المفاهيم ذلك لأسبقية في اكتشاف هذا الأخير، وعليه تأتي باقة التعاريف كالأتي:

فقد جاء في قاموس المصطلحات الإثنولوجيا والفلكلور ،حسب وصف إريكسون أنه دراسة الحياة الشعبية بأنها علم اجتماع واقعي طالما أنها تدرس البشر والجماعات البشرية، في وظائفهم الاجتماعية ،ومع الاهتمام بصفة خاصة بالنشاط الثقافي المستقل عن الاتجاه من المركز[2].

أما بالنسبة لأوجست كونت فقد اعتبره "العلم الذي يهتم بدراسة المجتمع مهمته دراسة

---

[1] عبد الرحمان ابن خلدون :مقدمة بن خلدون، تح :أبي عبد الرحمان عادل بن سعد الدار الذهبية للطبع والنشر والتوزع ،القاهرة، 2006 ،ص44.

[2] أيكه هو لتكرانس :قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفولكلور تر :محمد الجوهري وحسن الشامي، الهيئة العامة لقصور الثقافة ط2، دت ،ص255

الظواهر استنتج الاجتماعية دراسة وضعية علمية والكشف عن العلاقة بين الظواهر المختلفة. [1]

ومن خلال هذه التعاريف أستنتج أنه رغم اتفاق العلماء في ضبط المفهوم لا يخفى علينا اختلاف وجهات نظرهم؛ كل حسب رؤيته وتركيز دراسته المخصصة حول البناء أو التنظيمات الاجتماعية، إذن علم الاجتماع هو دراسة الحياة الاجتماعية للأفراد في إطار الجماعات .

1-2- سوسيولوجيا الأدب والرواية:

إن الحديث عن اهتمام علم الاجتماع بدراسة سلوك الإنسان وعلاقته بالآخرين في المجتمع يحيلنا إلى ضرورة الكشف عن التحامه واتصاله بباقي العلوم أين اخصص دراستي حول علاقته بالأدب على وجه العموم باعتباره ظاهرة إنسانية ارتبط وجودها بوجود الإنسان مسلطة الضوء على وجه الخصوص حول الرواية التي يتم بها تقييم عملي؛ محاولة بذلك استنطاق سلوك الأخر في المجتمع لغاية مرجوة إلا وهي

[1] بغريش ياسمينة :محاضرة المدخل إلى علم الاجتماع ،لطلاب السنة1 .التعليم القاعدي المشترك. الميدان العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة عبد الحميد مهري ،قسنطينة 2 ، السنة الجامعية 2015/2014، ص7

"الصورة الاجتماعية للاخر" في الرواية "أنا وحاييم ".غير أن الأمر هنا يحيلني أكثر إلى ضرورة إقحام علم الانثربولوجيا لتكون الدراسة مزدوجة، ومرد ذلك يعود إلى التعالق الوطيد بينها وبين علم الاجتماع.

وعلي اعتبار ذلك تعرف الانثربولوجيا على أنها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي يعيش في مجتمع تسوده نظم وانساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة ... ويقوم بأعمال متعددة ويسلك سلوكا محددا. [1]

وفي هذا الإطار نقر أن العلاقة بين الأدب والمجتمع علاقة جذرية متماسكة تعود ارهاصاتها إلى النظرية المحاكاة التي طرحها أفلاطون وطورها أرسطو،" ثم تطورت إلى أن أصبحت محور دراسة كمنهج اجتماعي للأدب ونقده بالتحديد عند الكاتبة والرواية مدام دوستايل في كتابها "الأدب في علاقته بالأنظمة الإجتماعية" عام1800م . [2]

ثم برز جورج لوكا تش (1885-1971م)،منظرا لهذا الإتجاه عندما درس وحلل العلاقة

---

[1] عيسى الشماس :مدخل الى علم الانسان "الانثربولوجيا"دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق د ط 2004ص13

[2] ازاده منتظرى وآخرون:النقد الاجتماعي للأدب نشأته وتطوره إضاءات نقدية "فصلية محكمة" السنة الثانية، العدد 6 ،حزيران 2012م ،ص161(بتصرف).

بين المجتمع والأدب ،باعتباره انعكاسا وتمثيلا للحياة [1].

وهذا أن دل عن شيء فإنما يدل على استحالة فصل الأدب عن سياقه الاجتماعي ،لأنه بطبيعة الحال ليس سوى تجربة واقعية اجتماعية جسدت بصورة فنية .

وفي التحليل السوسيولوجي للأدب يرى أنصار النقد الأدبي الفلسفي إن الأدب "هو بعد فردي وجماعي على السواء "[2]

إذن ما يمكنني قوله أن الأدب هو صورة اجتماعية صادقة لواقع تم تسجيله بأحداثه وتفاصيل حياته بمعنى الكلمة بأدق جزئياته المختلفة والمتنوعة .

وبما أن الرواية فرع من فروع الأدب فإنها حتما كفيلة لرسم صورة الأخر وتمظهراته خاصة، ون لكل رواية مضمون اجتماعي يرتبط بمرحلة معينة من تاريخ المجتمع .

وفي هذا السياق انصب اهتمام جهود المنظرين أكثر نحو الأعمال الروائية عكس الإنتاجات الشعرية، حيث يعود مرد ذلك إلى إمكانية القوالب الروائية في تصوير القضايا الاجتماعية تصويرا دقيقا. غير إننا نجد "الطاهر لبيب "في قراءته للظاهرة في العذرية من

[1] ازاده منتظرى وآخرون:النقد الاجتماعي للأدب نشأته وتطوره إضاءات نقدية، ص166

[2] السيد ياسين :التحليل الاجتماعي للأدب ،مكتبة مدبولي القاهرة، ط3 ،د ت ،ص54

الفهم إلى التفسير بالمعنى الغولدماني للكلمة "فالمجتمع في نظره –حقيقة أكثر تعقيدا أو اقل قابلية للرقابة بشكل لا نهاية له .[1]

فهو بذلك أراد إثبات طبيعة العلاقة القائمة بين الغزل العذري والبناء الإجتماعي ومدى نجاح هؤلاء الشعراء في تقديم الرؤية الواقعية للعالم الاجتماعي.

ودون أن أخوض في غمار البحث عن تاريخ سوسيولوجية الرواية –لأنه بطبيعة الحال مسار هذه الأخيرة طويل ويحتاج إلى تفصيل أكثر– أحاول فقط تقديم بعض الرؤى والتصورات لبعض المنظرين الذين ساهموا في توسيع دائرة المعرفة، ومنه وضوح طبيعة العلاقة بين الرواية وعلم الاجتماع وحتى الأنثروبولوجيا أن صح القول ؛وبذلك بيان كيفية استنباط الصورة الاجتماعية للأخر من خلال التطبيق.

انطلاقا من نظرية الرواية عند هيجل الذي يقر بوجود قرابة بينها وبين الملحمة فيقول أنها "ملحمة بورجوازية أو ملحمة عالم بدون آلهة أفرزتها تناقضات المجتمع البرجوازي".[2]

---

[1] محمد بلوحي:الشعر العذري في ضوء النقد العربي الحديث ،"دراسة في نقد النقد "منشورات اتحاد الكتاب بالعرب، دط 2000 ، ص150

[2] جميل حمداوي :دراسات في النقد الروائي "بين النظرية و التطبيق ،دار نشر المعرفة ،المغرب ،الرباط ،د.ط 2013.ص9

وصولا إلى تلميذه جورج لوكاتش الذي يعتبر من أهم النماذج المعبرة عن سوسيولوجيا الرواية، حيث نظر إلى الرواية على أنها "ملحمة البرجوازية" لكونها تصور نثرية العلاقات الاجتماعية ،و ضياع الإنسان و انهياره[1]

حيث و من خلال اضطلاعي على بعض الدراسات التي قدمها جورج لوكاتش تبين أنه قد فسر الفن باعتباره تعبير غير مباشر عن الصراعات الاجتماعية التي يشهدها المجتمع بحد ذاته.

اما لوسيان غولدمان الذي وفق بين نظرية إميل دوركايم التفسيرية ونظرية ماكس فيبر التفهمية ضمن بوتقة منهجية واحدة سماها البنيوية التكوينية ،فقد نظر إلى الرواية على أنها قصة بحث عن القيم الأصلية في عالم منحط يقوم به فرد منحط، والقيم الأصلية هنا تعني قيم الاستعمال التي تحترم الشيء لذاته[2].

2- 3- وبين هذا وذاك ، تأرجحت الرواية بين المناهج الكلاسيكية كالواقعية والرومانسية والجدلية...وظل الفن للفنن واعتبر المنهج الاجتماعي وحده من يعكس تجاذبات المجتمع عبر أحقاب زمنية مختلفة.

---

[1] جميل حمداوي :نظريات الرواية د.دار النشر، ط1 2016، ص10

[2] المرجع نفسه ،ص20 .34"بتصرف "

وبالحديث عن الجانب الإجتماعي الذي ساهم في بناء الرواية، ننتقل إلى دوره الذي سعى إلى كشف خبايا الحياة الاجتماعية للأخر في البلاد الجزائرية المستعمرة وما بعد الكلونيالية كدراسة خاصة، لكن من خلال التطبيق على الرواية السالفة الذكر.

فلو تتبعنا النصوص الروائية الجزائرية المكتوبة بالعربية منها وبالفرنسية خاصة في السنوات الأخيرة لوجدنا اهتماما كثيرا من الكتاب بتوظيف الآخر الغربي، وبالتحديد صورة اليهودي ومحاولة إثبات وجود المكاني والاجتماعي في قالب يسوده جو من التعاطف والقبول لهذا الأخير.

وهو ما روج له واسيني الأعرج في روايته "سوناتا الأشباح القدس"2009ورواية "البيت البيت الأندلسي"2010 الذي قدم فيهما تجاوز للصورة السلبية عن اليهود مستبدلها بنوع من التعايش.

إضافة إلى العديد من الروائيين كأمين الزاوي في روايته "اليهودي الآخر بتمنطيط" 2012 ، وربيعة جلطي في روايتها "حنين بالنعناع"2015 ،وغيرهم من الروائيين .

وها هو الحبيب السائح يكسر طابو اليهود ويحقق معضلة تعايشه في أرض الجزائر مما اكسب مجتمعها صفة التعدد والتنوع.

1-3- تحولات المنظور الاجتماعي للأخر في رواية "أنا وحاييم":

*صورة اليهودي المناضل الوطني "الصديق

تتخلى صورة اليهودي في هذه الرواية عن نمطيتها المألوفة بالصراعات المشحونة والعدائية العدوانية الدائمة بين الأنا والآخر.

حيث عمد الحبيب السائح إلى اختيار حقبة زمنية جد حساسة في مكان لا يقل خطورة نتيجة مشاهد الانتهاك والاغتصاب الذي تعرض لها.

وتجسدت في صورة اليهودي حاييم، بن ميمون؛ الروح المسالمة التي أغنت فضاء الرواية وصداقته المتلازمة مع الجزائري المسلم أرسلان بن حنيفي التي تناسلت وأثبتت وجودها مع مرور الزمن .وبذلك استطاعت الصورة ،رسم أبهى حلة لمعضلة التعايش والتسامح وقمة الوفاء والاعتراف ،لاسيما اقتسام كلا الطرفين متطلبات العيش منذ طفولتهما بحلوها ومرها إلى أن فصل القدر بينهما .

وما كان يلاحظ عن روح الصداقة هذه أكثر اندماجا للأعراق والثقافات والتقاليد، وهو مايحاول الروائي إثباته أكثر في نحو قوله :"لكن ما أسرنا بحنين أكثر من غيره

من الذكريات كان أعوام مدرسة جول فيري الابتدائية جنبا إلى جنب على طاولة واحدة بمقعدين ومجبرتين مدة ستة سنوات والتمثال الأبيض وثانوية معسكر...ورواية جوستين... وقد التهمنا بالتناوب نصفها في الغد حين كنا راجعين في الحافلة "[1]

بما في ذلك تشابه بعض الطقوس كالختان وعدم أكل لحم الخنزير وغيرها ..... كما يعايش المتلقي في الرواية، أرقي معاني الانفتاح لاسيما مساهمة "حاييم "ومشاركته في حرب التحرير وكيف استطاع هذا الأخير أن يكسب المنظمة السرية ثقته، وهذا ما يتجلى في قوله الروائي "فحرك رأسه متقبلا.وسألني عن حاييم

مار أيك فيه ،لأنه صديقك ؟

-أعرف حاييم جيدا .فلا تشكُّوا في خياراته حين يتعلق الأمر بوطنيته"[2]

دون أن ننسى دفع مبلغ اشتراكه المتفق عليه للخلية السرية ومعالجته لجرحى الحرب "زليخة مثلا" .

ظل وحاييم وطنيا رافضا للخروج من وطنه الجزائر وكان يتحدث في حرقة عن اليهود الذين غادروا المدينة، إلى فلسطين تاركين قدر الأجداد الرفض كان موجها لحبيبته "كولدا"

[1] الحبيب السائح:أنا وحاييم، ص161

[2] المصدر نفسه،ص136

التي أغرته بالمغادرة قائلا :"كولدا أوفت بوعيدها وغادرت ،مع أمها ،إلى المتروبول"[1] عانى"حاييم " كثيرا في حياته أثناء الاستعمار ،حين أحرقت صيدليته من طرف الإدارة الفرنسية وبعد الاستقلال نظرا لما شهدته من عزلة، وتهميش حتى كاد أن يقتل بعد قرار بعض اللصوص الذين زعموا السلطة من أجل نهب البلاد بالقضاء على كل اليهود المتبقيين في أرض الجزائر .

لكن التقارب بين الأنا والآخر لن يكون إلا عبر ظلال الحب والاحترام والصداقة الذي يتجلى بالاعتراف بخصوصية الآخر، حيث يعتبر تدخل كل من أ رسلان وزليخة للدفاع عن حاييم على أن هذا اليهودي من أبناء الجزائر يعتبر دليلا قويا وقاطعا على تقلبه المطلق ورد الاعتبار لهويته "اليهودي".

حيث يقول أرسلان "هل فيكم واحد مثل حاييم خاطر بحياته ورزقه من أجل أن يصبح الحلم حقيقة كما ترونها اليوم"[2]

وصولا إلى مرضه بسرطان الدم ثم وفاته التي شاءت الأقدار أن تفرق بينه وبين صديقه أرسلان حتى أن هذا الأخير قد ورث صديقه اليهودي "حاييم "الذي كان في بداية أمره فقيرا ثم قام بمساعدته لإعادة فتح صيدليته.

---

[1] الحبيب السائح ،أنا وحاييم ،ص210

[2] المصدر نفسه :226

حيث تلخصت صورته كما وصفها الروائي في الفضاء الواسع الذي يحمل كل معاني الحب والاحترام والتعايش وقصة البقاء والتحدي رغم جهل الإنسانية.

***صورة اليهودي الاندماجي :**

وتجسدت في الشخصية اليهودية العادية "رامون بن كيكي" الذي عاش في الجزائر العاصمة، وتمثل اندماجه مثل أي مسلم عاش في وطنه لكن دون أن يحدث تغيير في ديانته، ويظهر ذلك في اتحاده ومخالطته الجزائريين "الأهالي" والمعمرين "الأوروبيين".

قام بمساعدة أرسلان وحاييم بعد انتقالهما إلى الجامعة بكراء منزل بعد أن كان قد استقبلهما في محطة القطار بالعاصمة مصرا على دعوتهما إلى العشاء في منزله كردا على جميل والد أرسلان الذي كان قد أعاره مبلغا من المال ليستفتح تجارته،ويظهر ذلك في نحو قول الروائي:(فلم يظهر على السيد بنكيكي ماشده إلى ذلك .وسأل حاييم عن والده فطمأنه عليه وأبلغه تحياته .ثم نوه لي :

"القايد حنيفي رجل يمكن الاعتماد عليه".[1]

وقد وصنفه الحبيب السائح بالشخصية العادية لتعامله مع جميع الطوائف.

[1] الحبيب السائح : أنا وحاييم ،ص 65

صورة العنف "اليهودية المتصهينة:

حيث يقدم الروائي مشهدا مؤثرا لكولدا عشيقة حاييم وهي فتاة من أم يهودية وأب فرنسي تجسدت صورتها في الشخصية العنيفة التي تحاول فرض سلطاتها على حبيبها "حاييم ولو كلفها ذلك الكثير، حيث قامت بإغرائه بالأراضي والممتلكات ما إن تزوجها بعد عودتهما معا إلى أرض الميعاد(فلسطين) ،إلا أنها قد خلفت لحاييم جرحا عميقا جعلته لا يقبل الزواج بأي فتاة بعدها، بعد أن رفض شرطها المتمثل في مغادرة الجزائر.

وتعتبر من الأوربيات اللواتي سارعن إلى مغادرة أرض الجزائر عشية وقف إطلاق النار، مواجهة حاييم يحمل من السب والشتم له ولطائفته قائلة "ابق أنت ومن معك من التوشاقيم لأنكم اشكيناز فأنتم تعتقدون أنفسكم مثل الأوروبيين فقط لأنكم لبستم لباسهم وتعودتم عاداتهم؟"[1]

***صورة اليهودي الساقط:**

كما هو معروف أن ثمة تحولات كثيرة جرت على صورة اليهودي وفق التمثلات الشعبية المتوارثة ، وما استجد على الواقع الحالي ومتغيراته الإيديولوجية.

[1] الحبيب السائح: أنا وحاييم،ص259

وهو ما حاول إثباته الحبيب السائح كون الرواية حملت على أرضها مختلف الديانات والأجناس بالإضافة، إلى الصفات فمنهم الصديق ومنهم الغاصب .

تكشف هذه الصورة شخصية"سمير مردوخ "التي حملت كل معاني الشيطنة بما جسدته من مظاهر المقت واللهث حول المال دون أخلاق ذلك "المرابي "الذي جعل كل همه البحث عن المزادات العلنية وتحيين الفرصة لكل من هو في ضائقة مالية لابتزازه وسلب كل ممتلكاته ليدفع ببعضهم للضياع ولينتهي ببعضهم إلى الجنون وآخرون للهجرة كما حدث لجدة حاييم.

لذلك قال عنه حاييم "لم يشفع لولدي عند مردوخ أنه من ملته ودينه لما تجاوز الأجل المحدد لتخليص رهن مجوهرات والدتي من أجل مصاريف تسجيلي في الجامعة "[1]

أو أوصاف الحيل والمراوغة مثل ما فعل مع أرسلان عندما أراد يبيعه مسدسا فقال له :

"ليطمئن سيدي إلا أنا بعتك ولا أنت اشتريت من عندي "[2]

***صورة اليهودي الجشع :**

وكما سبق أن ذكرت أن الشخصية اليهودية مبنية على التحولات التي يملئها فضاء الرواية، حيث ساهم هذا التحول المعتمد على التغلغل في أعماق الشخصية اليهودية و كشف الصورة النمطية الشائعة فيها التي تتصف بالجشع .

---

[1] الحبيب السائح :أنا وحاييم، ص153

[2] المصدر نفسه، ص156

و جسدت هذه الشخصية كل من "بكري كوهين " و "بو شناق نفطالي "وهما تاجران يهوديان يملكان عقدا حصريا منذ الدولة العثمانية لتصدير القمح.

وقد وصفهما الروائي بالجشعان نظرا لحرصهما على كسب المال بكل الطرق ولو كانت غير مشروعة مع توظيف خبرتهما في الصفقات للتلاعب بأسعار القمح كما قال أرسلان:

"والسيطرة على إنتاج القمح الذي كانت سوقه بيد محتكرين من عائلتين يهوديتين قدمتا من ايطاليا واستقرتا في مدينة الجزائر يلقبان بملكي الجزائر "[1]

وعلى اعتبار أرسلان أيضا أن الحرب التحرير بقدر ما كانت خلاصا من ألم وبداية كل ألم وبداية انبعاث الحرية إلا أنها لم تخلق التركيبة الاجتماعية الصحيحة وكانت عبارة عن خسارة تاريخية.

2- الصورة النفسية :

2-1-سيكولوجية الآخر :

طالما أن الرواية تمثل صورة العالم الروحي والضجيج الداخلي للإنسان فإنها حتما بمثابة عيادة للعلاج النفسي التي تكشف عن خلفيات الإنسان عامة ودواخل الروائي خاصة ،هذا الأخير الذي أراد لمشاعره ورغباته أن تتنامى في قالب فني خالص مما يؤكد علاقة

[1] الحبيب السائح: أنا وحاييم ،ص256

الأدب الذي يعكس هموم الإنسان ،وعلم النفس بعناصره ويوثق الصلة بين السيكولوجية الإنسانية والرواية .

حيث أثبتت الدراسات أن وراء كل أثر أدبي سببا سيكيولوجيا كون الحالة النفسية للأديب تنقسم إلى قسمين مضمونا ظاهرا ومضمونا مستترا .

وعليه فإن مايمكنني الحديث عنه في هذا المقام بتسليط الضوء على المنهاج النفسي هو محاولة الكشف عن السيكولوجية الروائية أو بعبارة أخرى الاتجاه النفسي، في النقد الروائي، لكن منظور من منظور حداثي، وكما هو معروف أن دراسة البعد النفسي في الرواية تتكئ على المنهج النفسي الذي يعتبر في النقد أنه تلك الآليات والأدوات الإجرائية التي يعتمدها الناقد في فهم أسرار الأدب ودراسته[1]

فالرواية في جدلية استيعابنا لها تنطوي على عدة دلالات، وتعبر عن نفسها من وراء عدة أقنعة، تتيح لنا معرفتها معرفة واضحة وفق ما تقتضيه دراسة الصورة في النقد الحديث ولعل أهم مايميزها "هو مستوى الوظيفة التي تحققها الحالة النفسية، أي تخطي حدود الذاكرة بوصفها قدرة على حفظ بقاء الماضي إلى ذاكرة نفسية "[2].

---

[1] صالح الدين ملفوف :نظريات علم النفس في الرواية العربية الحديثة "رواية سراب نموذجا"جامعة قصدي مرباح ،ورقلة ، الجزائر ،2010/05/09

https://www.revues.unive.ouargla.dz

[2] عبد المجيد جيدة :الإتجاهات الجديدة في الشعرالمعاصر ،دارالأفاق الجديد، بيروت،ط1998،1. ص364.

حيث سأطول من خلال مسيرتي البحثية هذه الإحاطة بالمفاهيم العامة التي تدور في شرك الاتجاه النفسي العام انطلاقا مما قدمه الباحثون في مجال القراءة النقدية بهدف تحليل العلاقة الوطيدة والمتلازمة بين الإبداع الأدبي وعلم النفس، مساهمة في ذلك بتحديد نظري لمفهوم القراءة النفسية .

2-2 مفهوم القراءة النفسية :

تعتبر القراءة كمفهوم واصطلاح نقدي تبعا لما رصده الباحثون الحداثيون "نشاطا فكريا يشتمل تعرف الحروف والكلمات والنطق بها صحيحة والفهم والتحليل والنقد والتفاعل مع المقروء وحل المشكلات والمتعة النفسية وبعبارة أخرى أصبحت القراءة وسيلة لربط إنسان بعالمه الذي يحيا فيه في تغيره وتطوره وفي مشكلاته ووسائل تسليته "[1]

أوكما يعرفها عبد الملك مرتاض على أنها " انطلاق الذات بما هو مغيب في مجاهلها وأوازمها .ولعل قراءة الذات واستخراج مافي باطنها ،وتسطير للناس أن يكون هام حقيقة هذا المفهوم في صدقه وعمقه "[2]. كما يعتبرها أيضا"تناص يقع مع نص أخر كان أصلا ،قراءة لخاطر ، وترجمانا لقريحة ..." [3]

---

[1] طه حسين الدليمي، سعاد عبد الكريم الوائلي :اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية ،عالم الكتب الحديثة،اريد جدار الكتب العالمي ،عمان ،ط1 ،2009،ص5

[2] عبد المالك مرتاض،نظرية القراءة ،دار الغرب للنشر والتوزيع ،وهران ،الجزائر 2003،ص28

[3] المرجع نفسه ،ص ن.

إذن فعملية القراءة هنا عملية عقلية مركبة ومعقدة شديدة الارتباط بمشاعر النفسية إذ تم التخطيط لها من قبل كاتب النص في حد ذاته ،بحيث يعتبر المقروء رسالة موجهة للقارئ الذي يتفاعل معها باستخدام مهاراته لاستخلاص المحتوى من خلال تفكيكه للتراكيب اللغوية .

التفاعل هنا يكون مقرونا بالحالة النفسية للذات التي تقوم بعملية نقدية للمادة إما بالقبول أو بالرفض، فالقراءة كما تم الإشارة إليها من قبل هي ترجمانا للقرائح حيث نأخذ على سبيل المثال :ولعي شخصيا بقراءة كتابات "مصطفى صادق الرافعي " فكتابي "حديث القمر "و"السحاب الأحمر "اعتبره رسالة موجهة إليّ كقارئ أو كمتلقي ،أو كان من السهل تفكيك شفراتها رغم صغر سني لتطابقها مع مشاعري الجياشة إلى يومنا هذا .

على عكس رفضي لقراءة كتابات"أحلام مستغانمي" كوني لا أحد فيها مايحرك خاطري فعملية القراءة أكسبتني القدرة على كتابة بعض النصوص ولعل مرّد ذلك يعود إلى حسن استغلالها للمهارات بالجهاز العصبي كما فسره بعض العلماء.

2-3 القراءة النفسية للرواية المعاصرة :

وكما كنت قد أشرت من قبل فان القراءة النفسية واحدة من القراءات النقدية التي استهدفه قراءة النص الأدبي انطلاقا من الأدوات المناسبة التي تتبع من منهل المنهج

النفسي، وذلك وصولا إلى غاية منشودة غرضها تحليل العلاقة الوطيدة بين العمل الأدبي وعلم النفس، أي توضيح الصلة بين الانفعال النفسي والعمل الفني.

وبما أن محور الدراسة في بحثي هذا يقوم بالتطبيق على فن الرواية سأقوم بتوضيح الرؤيا السيكولوجية لهذه الأخيرة مستعينة بذلك بما قدمته الجهود النقدية للباحثين دراسة الإبداع الأدبي و تفسيره من متطور نفسي .

وعليه يعتبر الإبداع الفني مستقل نسبيا عن الحتميات البشرية يمكن أن تسهم في إنتاجه [1]،حيث كان إجماع النقاد "لأجل تبيّن الوضع،بأنه سيكون على عمل الناقد الأدبي ألا يراعي إلا المؤلف وقد صار نصاف "المبدع "في "واقعه "أمر يهم مؤرخي الأدب والمؤرخين بلا زيادة والمحليين النفسيين الذين يتساءلون عن الإبداعية [2]

وهذا ماحاول توضيحه الدكتور مصطفى سويف حول الإطار المرجعي لهذا الأخير حيث قال انه "يقصد به الإشارة إلى الأساسي النفسي التي تنتظم من خلاله مدركاتنا ومشاعرنا

---

[1] بيرنارد فاليط:النص الروائي تقنيات و مناهج،ت،رشيد بنحدور،المجلس الأعلى للثقافة ،دط،1999،ص 63.

[2] جان بيلمان نويل:التحليل النفسي و الأدب،ت:حسن المودة،المجلس الأعلى للثقافة،المشروع القومي للترجمة،دط،1997،ص98.

(من حيث كونه لا يدع تنبيها حسيا ولا بادرة ذهنية دون أن يعطيها معنى معينا داخل بناءه. [1]

ومن هنا نستنتج أن الحديث عن الإطار العام للأدب وباقي أجناسه كالرواية مثلا هو عبارة عن تحليل لخلجات حالات نفسية ومكنونات وجدانية ساهمت في إنتاج الفنان المبدع الذي يسعى دائما لإشباع ذاته ورغباته لأشياء لم يفلح في تطبيقها على أرض الواقع ،فلجأ إلى فن الكتابة في الأدب لتخفيف من شدة التوتر وبذلك ينتج بما يعرف بالمواجهة النفسية وهو ما أشار إليها "فرويد" سابقا في دراسته عن اللاوعي أو اللاشعور، لذا "كان ميل فرويد الطبيعي إلى الأدب، مضافا إلى رغبته في الدفاع عن علم النفس التحليلي –الذي اتهم بأنه أوهام لا معنى لها–من الأسباب القوية التي جعلت فرويد يهتم بالكتاب وكتاباتهم [2]

وبما أن الأدب مرآة عاكسة للمجتمع المعبر عنه فقد لجا العديد من الروائيين الجزائريين بصفة خاصة على ضرورة الاهتمام الشديد بالجانب النفسي وتطبيقه في المتن الروائي ،ولعل مّرد ذلك يعود لازمات النفسية التي خلفها المستدمر الفرنسي في نفس كل فرد جزائري .

---

[1] عبد القادر فيدوح:الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربية،دار الصفاء للطباعة و النشر و التوزيع،عمان،الأردن، دط،دت،ص91

[2] صالح الدين ملفوف:نظريات علم النفس في الرواية العربية الحديثة رواية السراب نموذجا،جامعة قاصدي مرباح ورقلة –الجزائر ،9ماي2010https://www.revues.univ.ouaregla.dz

حيث كان سعي الروائي الجزائري الحرص على الفوضى في المكنونات النفسية وترجمتها عن طريق الكتابة داخل المتون الروائية ضمانا لنقل التاريخ الجزائري بكل صوره بين الأجيال.

كما عمد هؤلاء إلى كسر الطابوهات والتأكيد على تقديم كل الصور المستعمر الفرنسي و صور المجتمع الجزائري دون تغطيتها آو التستر عليها ،و هذا ما حرص عليه الروائي الحبيب السائح مثلا في روايته "أنا و حاييم"على ترتيب كل تفاصيل كل المشاهد لكل المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر غير أنه لم يستثني بذلك النظرة الإحتقارية والقسوة وسوء المعاملة التي لجأ إليها فئة من الجزائريين إتجاه بعض اليهود الذين اختاروا أن تزهق أرواحهم في سبيل الجزائر .

وإذا ما فتحنا الباب حول الحديث عن الرواية الجزائرية التي اهتمت بالجانب النفسي فالقائمة طويلة كان من بأولوياتها تشرح الواقع بكل تجلياته، منها رواية"ريح الجنوب"لعبدالحميد بن هدوقة،"اللاز"لطاهروطار "كتاب الأمير "واسيني الأعرج "شعلة المايدة "محمد مفلاح وغيرها من الروايات غير أنه لا يمكن أن تقتصر الحديث عن رواية الأزمة فقط وتأثيرهاعلى الجانب النفسي.فباعتبار الحال قد تميزت الرواية الجزائرية المعاصرة بنوع من الذاتية التي طغى عليها أسلوب السيرة الذاتية والنرجسية التي لا تحمل طرحا واضحا أو موقفا محددا .

2-4-الصورة النفسية للأخر في رواية :"أنا وحاييم "

بما أن الرواية موضع الدراسة هي من الروايات الجزائرية الحديثة التي تتغلغل إلى تلك المناطق في النفس الإنسانية التي تتصادم فيها العوالم الداخلية بالخارجية (الاجتماعية ،السياسية ،الاقتصادية...) وبالتالي سأحاول رصد أهم المشاعر والانفعالات التي جسدت عبر متون الرواية من خلال الشخصيات اليهودية المختلفة .

أ-التحليل النفسي للشخصية الرئيسية :

*-الازدواجية العاطفية :

يعتبر الحديث عن الازدواجية بالضرورة لإشارة إلى اضطراب نفسي حقيقي ناتج عن ضغوطات اجتماعية شديدة حيث يؤثر هذا الأخير بشكل مباشر في الحياة اليومية من خلال الانفعالات الناتجة عن الشخصية المصابة.

وفي مسيرتي البحثية لهذا النوع من الدراسات تبين لي إن العديد من الأبحاث العلمية لازالت تجري في العديد من المختبرات النفسية لاكتشاف أسباب تعدد الشخصيات وازدواجيتها وقد جمع العلماء على بعض النقاط ومن بينها :

- التعرض إلى ضغوطات ومسؤوليات فوق احتمال الفرد.

- اعتداء جسدي خاصة فترة الطفولة مما يؤدي إلى الكبت الزائد نتيجة صراع داخلي ينعكس بالسلب ومع مرور الوقت تتبعه جملة من الزوابع التي يمكن لها أن تعصف بالإنسان أي خروجه عن مساره السليم .

غير أن العالم النمساوي سيغموند فرويد يربط تلك الازدواجية بالميول الفطرية ويقر أنه من الممكن أن تكون الازدواجية حالة غير مرضية. ومن بين أهم الأعراض التي يمكن أن تكشف هذا النوع من الأمراض هو فقدان المصاب للهوية فيما يتعلق بالشخصية الدقيقة والأساسية للفرد، وهو ما يحيلني إلى الحديث من احد الشخصيات الرئيسية في رواية "أنا وحاييم"وهو الجزائري الذي تجنس بالهوية الفرنسية ليصبح بعد ذلك يهوديا إلا وهو حاييم بن ميمون الذي ينتمي إلى منظومة ثقافة مختلفة -ثقافية وليس اجتماعية- كونه ترعرع منذ طفولته بكل ذكرياتها داخل المجتمع الجزائري وانحرافه عن الانخراط داخل المجتمع اليهودي "الفرنسي".

وكما هو معروف وإنه لمن الطبيعي أن أي فرد جزائري يُكِّن تلك الأحقاد الناتجة عن ظلم المحتمل الغاشم "فرنسا "فقد تعرض حاييم للرفض وذلك بيانا لهوية المهمشة منذ صغره .

ومن بين أهم العلاجات الرئيسية التي يتوجه لها المصاب هو انتهاج طريقة إبداعية من شأنها أن تنمي قدراته وتثبت هوية شخصيته ،حيث اختار حاييم بن ميمون العلاج

بالتفوق في دراسته إلى جانب نسقه المختلف صديقه الجزائري المسلم أرسلان بن حنيفي حيث بلغ نجاحه اسمى معاني الفوز في وقت ساده القهر والاستبداد .

فنجاحه في شهادة الباكالوليا من داخلية مصقولة بألوان التفرقة والميز العنصري في بلد شهد موجة قوية بعملية الاستيطان كان أشبه بالمستحيل وهذا ما فسره فرح حاييم حيث قال: " الحرية "

تصورا سبع سنين في هذه الداخلية "

"التي تشبه الثكنة "

"بل مصلحة أمراض عقلية "

" آن لنا أن نحرق قمصانها الكابحة "[1]

ثم تخصصه في الصيدلية وتخرجه فيما بعد ليكون انخراطه للمقاومة الجزائرية بتسخير كل الممتلكات الصيدلية تحت خدمة جبهة التحرير الوطني وهو تفسير لصورة النضال ومعضلة التعايش بين اليهود والجزائريين وبالتالي استطاع حاييم إثبات هويته وسد نقصه.

[1] حبيب السائح ،أنا وحاييم ،ص48

***-الإحساس بالكبت والقهر:**

لم يكن شباب "حاييم "أسعد حظ من ماضيه إذ لم يتعد كونه حيزا متكررا بتعب نفسي وهي الأزمة النفسية التي رسمت الحالة المتناهية لنفسية "حاييم " المتصدعة المتوارية خوفا وخنقا وذلك عبر الأفق الروائي الذي اعتمده الكاتب "الحبيب السائح"كإسقاط أولي يبرز المخزون للاواعي الذي تغذيه الحقول الوصفية التي وصفها الراوي من خلال شفرات الكبت بين محطات الأحداث للراوية.

لعل أول محطة يمكن التطرق لها هي ودود الأفعال التي جسدها "حاييم" في أ صعب المواقف التي من شأنها ساهمت في رسم سمات شخصية فتخليه عن أغلى ما يتفطر لها قلبه "كولدا" بالأمر التي كانت من شأنها أن تسد فراغه وبالتالي تنفتح المغاليق الأوعية ليس بالأمر الهين.

"كولدا"التي طالما عشقها"حاييم"مثلث عنصرا فاعلا بالنسبة لنفسيته المتأزمة .حيث يعتبر هذا النوع من العلاقات الحميمة بمثابة العلاج ذات القوة الفاعلة الذي يشفي غليل التراكمات المكبوتة داخل "اللاشعور"عند البطل.

فالإهانة التي تعرض لها "حاييم " من قبل عشيقته عشية وقف إطلاق النار كانت بمثابة صدمة عنيفة له بسبب رفضه لشرطها مقابل الزواج والذي تمثل في مغادرته إلى أرض الميعاد "فلسطين"دون التردد في استعمال حيلها بتقديمها له عدة ضمانات :(فتح صيدلية

،الحصول على قطعة أرض لبناء مسكن، وربما على حقل زيتون أو برتقال ،حسب المنطقة التي سيحل بها) كما رددت هي .

حيث تعتبر آلية الدفاع استعملها "حاييم "بتصلبه أمامها ورفضه القطعي حتى بعد تخفيف شروطها من بين أهم الميكانيزمات التي يلجا إليها الإنسان كردة فعل يمكن تفسيرها بالتكوين العكسي وهي عملية تكوين سمة شخصية أو ميل أو دفاع غير مرغوب فيه يوجد دفينا في الشخصية وتتم هذه العملية بشكل لاشعوري بحيث يطرأ تغير جوهري على هذه السمة أو الميل أو الدفاع فينقلب إلى الضد تماما في شعور الشخص أو إحساسه[1].

وبالتالي يعمل على قمع وكبت الدافع المثير للقلق ويعبر عن عكس الدافع الموجودة عنده وبذلك يستريح صاحبه مؤقتا من التوتر المرتبط به كذلك لجأ حاييم إلى نفس الحيلة وذلك ردا للجمل الجارحة التي رددتها كولدا:

"مواطنة مثل الانديجان ؟يا للمأساة، تعني ذمية من جديد، تعني أن أصبح واحدة من نسائهم اللائي يعشش في رؤوسهن الجهل والتخلف والحمق؟

"لا ياسيد حاييم كن أنت وحدك المواطن الجديد في هذا البلد الملعون "

وقولها أيضا:"كيف ليهودي مثلك أن يرهن شرفه ودينه وحياته لهؤلاء الحثالات.

[1] فرج عبد القادر طه وآخرون:معجم علم النفس والتحليل النفسي،دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت،ط1 ،دت،ص144

"وفوق ذلك أن يتواطأ مع قتلتهم من الفلاكه"[1]

وكثيرة من العبارات الساخرة والجارحة التي تناقلت بين اسطر الرواية ليتولد بذلك الشعور لدي "حاييم "انه لايوجد حب غير حب والدته أو حبه للمكان الذي ارتبطت به نفسيته ومشاعره "ارض الجزائر "في زمن اشتعلت فيه حرارة الحب من رحم الحرب وبرد الثلج كما وصفها الكاتب.

فللمكان بعد نفسي فسره النقاد على انه فضاء يمارس فيه جملة من الاهتزازات النفسية للذات اليائسة أو الباحثة عن الإحساس بالحياة كما قال غاستون باشلار:

"البيت هو أكثر من منظر طبيعي إذ هو حالة نفسية وهو كذلك حتى ولو رأينا صورة له عن الخارج ينطق بالألفة" [2].مما يجعلنا نستنتج أن للمكان بعدين على نفسية الفرد إذ يمكن أن يكون مكانا للخوف والارتباط نتيجة الضغوطات النفسية التي تعرض لها الإنسان .

وما عساي أن أقول أن شخصية حاييم التي تعرضت لمختلف الضغوطات ونتيجة للكبت وبوجع الانكسار قد اختار انتقاله للعالم الأخر بعد إصابته بسرطان الدم وهو لايزال يبحث

---

[1] الحبيب السائح : أنا وحاييم ، ص257

[2] غاستور باشلار :جماليات المكان ،ت:غالب هيليسا ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت،ط6 ،2006 ،ص6

عن هويته حتى أخر نفس بعد وصيته وهو يحتضر أن يدفن في المقبرة اليهودية في مدينة سعيدة .

ب التحليل النفسي للشخصيات الثانوية:

«الاستعلاء:

جسد الروائي كل أشكال القمع الاجتماعي الذي يعاني منه الفرد في أرض الجزائر والتي واجهتها شخصيات الرواية حيث غاصت هذه الأخيرة في عالم الحرمان والصدام مع المجتمع لتبرز جرأة الطرح الذي عرضه الروائي "الحبيب السائح" كشفا لما كان مستورا كنوع من التمرد .

وفي هذه المحطة سنرصد أحد أهم الشخصيات اليهودية الثانوية في رواية "أنا وحاييم "

ذات الصلة القوية بأحد الشخصيات التي حبكت حولها الرواية ألا وهي "كولدا "رفاييل عشيقة "حاييم بن ميمون "حيث يمكننا من خلال هذه الشخصية استنباط أهم صورة عايشتها صفحات الرواية تجسيدا المحاولة فرض السلطة ولعل مرد ذلك يعود للعلاقات المتشابكة التي أدخلتها وحاييم نتيجة البيئة التي فرضها الواقع المصقول بالخراب والدمار في عوالم الحرمان .

تبدو شخصية "كولدا رفاييل" بخفايا داخلية وبواعث نفسية ساهمت في حقن شخصيتها بالعقد النفسية حيث يمكننا تحليل نفسيتها بالصراع الحاد الذي أبرزته ملامح شخصيتها في أقوى موقف وهي تواجه "حاييم بن ميمون " عشية وقف إطلاق النار وهي تحاول فرض سلطتها بشتى السبل . فإغواءها له بضمانات من اجل مغادرته معها الى ارض الميعاد "فلسطين "الذي تعتبر شرط أساسي لقبوله كزوج لها هو نوع من أنواع فرض السلطة الذي يدل على شخصيتها المتزعزعة التي تشعر بالنقص والحرمان .

ففقدانها لوالدها السيد"سيباستيان رفايل "في اشتباك مسلح مع خرقة جبهة التحرير الوطني الذي ينتمي إليها صديقه "ارسلان "ادخلها في غياهب الحزن وسبب لها عقدة نفسية أودت في إصابتها حيث يعتبر استعلائها على حاييم الذي وصفه بحزن كبير حين قال "كولدا ألذلك لم اطمئن يوما إلى أن أناديك حبيبتي [1]،وقوله أيضا "آه ليتك تدرين كم كان يوجعني أن تنطقي كلمة انديجان باستعلاء واحتقار بل بعنصرية أني لا اخجل من أن أصارحك بهذا "[2]،نابعا من نرجسيتها الغير مستقرة على اعتبار أن النرجسية هي افتتان

[1] الحبيب السائح :أنا وحاييم ،ص202

[2] المرجع نفسه ، ص ن

المرء بذاته ، لذا يرى فرويد "أننا لدينا جميعا رغبات نرجسية أو حب للذات وهي طبيعية ومن الضروري إشباعها"[1].

غير أن من النرجسية ما يكون طبيعيا أو مرضيا كحالة "كولدا " المتأزمة التي حاولت سد نقصها بالإستعلاء والغرور ،التي انتهجته في حياتها خاصة مع "حاييم" بحكم انخراطه للمقاومة الجزائرية التي تسببت في مقتل والدها جماعة الفلاكة كما وصفتهم لحاييم وبالتالي انتهاك حتى لإنسانيته .

***الجشـــــع:**

حيث أقوم بتقديم الصورة المنطقية لليهودي الجشع والتي انعكست بالشكل السلبي من خلال تطلعاتي للملامح الشخصية للرواية وتتمحور حول شخصيتين أشار إليهما الكاتب وهما كوهين وبوشناق اللذان يبدوان انتهازيين جشعين متكالبين على المال.

يلتقط الروائي الحبيب السائح بعدسته مكامن الكانسان التي ترزخ فيها طبائعه الإستبدادية وهي وعي لا شعوري بفناء الإنسان وفقدان الأنا والخوف من فقدان كل شيء هذا بالنسبة للعالم الداخلي أما بالنسبة للخارجي فقد يرسم التقلبات المتسارعة والتغيرات الخطيرة التي

[1] أنس محمد شحادة،التعاطف والنرجسية وعلاقتهما بالرضى المهني لدى عينة من المشردين النفسيين في مدارس محافظة دمشق الرسمية ،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الإرشاد النفسي جامعة دمشق ،كلية التربية ،قسم الإرشاد النفسي،75

شهدتها الجزائر جراء هذا المرض النفسي التي أظهرته كل من الشخصيتين بلجوئهم إلى طرق غير قانونية أو مشروعية في التلاعب بأسعار القمح.

فاعتبره الروائي انه اختراق للتركيبة الاجتماعية حيث قال "أنه مازال يعتقد أن تلك التركيبة كانت بتنوعها العرقي والثقافي ستغني هذا البلد فأبديت له تحسرا وقلت أنها كانت خسارة تاريخية .[1]

***المراوغة والخداع :**

باعتبار الشخصية ذات كثافة سيكولوجية تستقطب جميع مظاهر الصراع حولها سواء كان داخليا أم خارجيا فان أهم علاماتها الاضطرابية الخداع الذي يغلب عليه النفاق الاجتماعي والمراوغة وضعف الضمير

وإن من أهم الصفات التي اتسمت بها الشخصية اليهودية المكر والخديعة بشتى السبل وقد خصهم الله تبارك وتعالى في قوله :" وإنَّ منْهُم لفَريقًا يَلْوُونَ أَلْسِنتَهُم بالكِتابِ لتَحسَبوه منَ الكتابِ وماَ هوَ منَ الكتابِ ويَقُولُونَ هوَ منْ عِندِ اللهِ وماَ هو منْ عنْدِ اللهِ ويقُولُونَ على اللهِ الكذبَ وهمْ يَعلمُون ".سورة آل عمران ،الآية 78

[1] الحبيب السائح: أنا وحاييم ، ص 256

وإنَّ هذا التدليس قد فضحه الله عز وجل وأخبر أنهم تجار أفك وكذب، وعليه فان نموذجنا المختار هو شخصية "سمير مردوخ " ذلك المرابي الذي بدا باحثا عن ذاته وقاسي القلب يكيف نفسه بالذكاء والمكر مع أي وضع بتلذذ أهم الأمور حبا لقلبه باستغلال الآخرين، لربما يجدر بنا أن نتأمل هذه الأسطر في قول حاييم "كنت أعرف من جدتي لأنها حدثتني يوما عن المرابي مردوخ ،بعض من فقدوا من الأهالي ومن غيرهم ممتلكاتهم لما عجزوا عن التسديد- فانتهى بعضهم الى الضياع، وبعضهم الى الجنون وآخرون الى الهجرة بلا رجعة "[1].

حيث أجمع علماء النفس على تسمية هذا النوع من الشخصيات "بالسيكوباتية"؛ و"تطلق السيكوباتية على السلوك الذي يعد مضادا للمجتمع وخارجنا عن قيمه ومعاييره ومثله وقواعده"[2].

***ا لحـــــقــد:**

وكما هو معلوم أنه لمن المهم دراسة الشخصية والغوص في جذورها وأصولها والتعمق في ضميرها ومعرفة طريقة تفكيرها حيث سنقوم بتضييق زاوية النظر حول صنف معين من الشخصية اليهودية ألا وهي الشخصية الحاقدة التي جُبِل عليها اليهودي.

---

[1] الحبيب السائح :أنا وحاييم ،ص 153

[2] فرج عبد القادر طه و آخرون:معجم علم النفس و التحليل النفسي ،ص231

ومن خلال تطلعاتي التي من شأنها أن تخدم مسيرتي البحثية تبين أن اليهودي بطبعه يستعلي على البشر ويرفض الاندماج والتعايش مع الآخرين وهو ما صوره الروائي الحبيب السائح من خلال شخصية"مسيو ويل " ذلك الحارس الحقود الذي يرفض التعايش مع العربي حتى في وطنه .

يوقع الروائي شخصية "مسيوويل" في موقف حرج امام مدير الثانوية بسبب العربي المسلم "أرسلان حنيفي"وذلك كشفا لبعض دواخله النفسية التي ساهمت في رسم شخصيته الحاقدة الرافضة لمعنى الإنسانية وقد تجسد ذلك في المقطع التالي حيث يسرد أرسلان حوكان المدير لما سألني السبب فأجبته بثقة أغاضت مسيو ويل الواقف بجنبي شابك يديه إلى الخلف ....ولا شك أن غلالة اكفهرار كانت قد انتشرت على وجه مسيو ويل وهو ينطق عبارة "هاه ؟لاراب"[1]

وقد أدرج الروائي صورة أخرى عن اليهودي الحقود وتمثلت في لحظات تسجيل حاييم وأرسلان الاقامة الجامعية وما تلقياه من ميز واحتقار خاصة عند قراءة اللافتة الموجودة بمدخل الإقامة "هنا لايقبل الأنديجان"[2].

[1] الحبيب السائح : أنا وحاييم ،ص22

[2] الحبيب السائح: أنا حاييم ،ص74

أو حتى معاملة الزبائن من الأقدام السوداء والأوروبين في مطعم فندق الشرق لهما وما تعوض له من إهانات حيث تعالت الأصوات داخل المطعم هنا وهناك "آه'حيث يتحرر الانديجان"[1].

"نسختان مقلدتان لجنتلمانات أخر زمان "[2]، وغيرها من العبارات حيث تؤكد هذه المشاهد دليل على تفشي مشاعر الاحتقار العميقة والمتجذرة في اليهود اتجاه الجزائريين.

وكما هو شائع منذ القدم أن الطفل يولد بطاقة غريزية لذا فلا عجب أن التركيبة النفسية لليهود قد تناقلت عبر الأجيال عن طريق الوراثة فالمتتبع للأشخاص الذين يعانون من هذه الأزمة النفسية والانفعالات يستوعب إن للبيئة الطبيعية أثر كبير وعميق في بناء التركيبة الجسدية والنفسية ومنه التأثير على التصرفات والحركات الإرادية واللاإرادية .

[1] المصدر نفسه :ص 159

[2] المصدر نفسه : ص ن

الخاتمة

الخاتمة

أخيرا وبعد مدارستنا للرواية الجزائرية الجديدة وبعد المحاولات التي انتهجناها خلال مسيرة البحث كطريق لفهم الأخر، ومحاولة استنطاقه عبر المتون النقدية.

توصلنا إلى النتائج التالية :

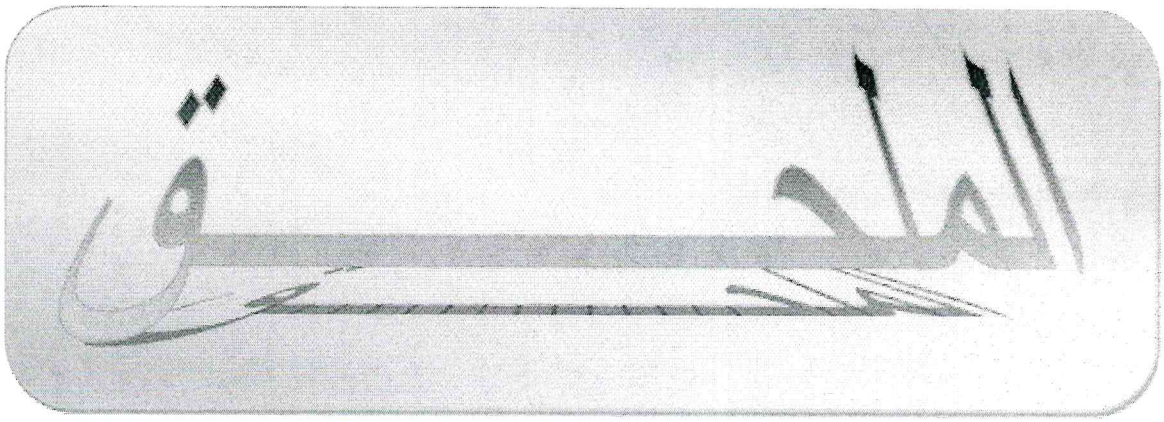
- ✓ اهتمام العديد من الكتّاب العرب والجزائريين بتوظيف الموروث اليهودي في نصوصهم خاصة بعد المتغيرات السياسية وما أعقبها من تحولات في قبول الآخر حيث يبقى أمر هذا الاهتمام غير مبرر وكأنه يهيئ لانتزاع اعتراف تاريخ مزعوم
- ✓ إصرار "السائح" على تحويل يهودية "حاييم بن ميمون" من عقيدة إلى هوية وشخصية كونها جزءا لا يتجزأ من التركيبة البشرية والاجتماعية والثقافية للهوية الجزائرية التي يحمله عنوان "أنا وحاييم ".
- ✓ تكشف الرواية عن مرحلة ساخنة من تاريخ الجزائر، حيث يبدو لوهلة أن "السائح" حاول إبراز مفهوم عميق للثورة غير انه يعتبر احد الحيل الإغرائية التي لجأ إليها الروائي ليتم الاشتغال بصورة مركزة على سيرة اليهودي الطيب وباقي الصور النمطية للشخصية اليهودية بغرض الكشف عن أصناف الشخصية اليهودية وبذلك يتم إزالة سوء الفهم والعداء المحمول عبر التاريخ السياسي .

✓ يمكننا وصف السرد في رواية "أنا وحاييم " بالمحايد ،وذلك لما تلقته الثورة الجزائرية من ضربة قاسية من قبل الروائي، الذي ضَّمَنَ انتقادات جريئة لمرحلة

ما بعد الاستعمار ؛حيث حاول هذا الأخير التنقيب عن كبريات أخطائها ليتم تقديمها في صورة نمطية بإمكانها التقليل من شأن التاريخ .

✓ لم تذكر الرواية القضية الأساسية التي كانت سببا في هجرة اليهود من الجزائر وهي قضية قانون الأهالي المعروف بقانون كريميو الصادر بتاريخ 4اكتوبر 1840.

أبرزت الرواية معضلة التعايش في الجزائر وربطته بأوضاع الجزائر بعد الاستقلال عندما أفرزت الدولة الشمولية والشرعية الثورية والأحادية في كل شيء، مما أفرز إلغاء الآخر ونفيه .


الملحق

الملحق

السيرة الذاتية للروائي : الحبيب السائح

روائي جزائري ولد عام 1950بمنطقة سيدي عيسى ،ولاية معسكر .

نشأ في مدينة سعيدة .تخرج من جامعة وهران ثم انتقل بالتدريس و ساهم في الصحافة الجزائرية والعربية .غادر الجزائر سنة 1994باتجاه تونس التي غادرها بعد نصف سنة ليحل بالمغرب الأقصى ،عاد بعدها إلى الجزائر ليتفرغ لإبداع الأدبي في مجال القصة القصيرة والرواية.

يعد حبيب السائح من أبرز روائيي جيل السبعينيات الجيل الثاني للرواية الجزائرية العربية بعد جيل الرواد ، مع واسيني الأعرج ومحمد مفلاح والجلالي خلاص ...أحدث نصه الروائي الأول "زمن النمورد " بجراته نقاشا طويلا واثر تأثيرا كبيرا في مسيرة الكاتب، فقد صودرت نسخ الكتاب وحوصر بيته في 1985/8/5 وهذا ماجعله يصف روايته تلك بقوله "زمن النمورد كانت نكبتي ومحنتي وفتحي".

ولكنه افتتح على ضوء ماحدث له ولروايته الأولى بان المراهنة على الجماهيري والايديولوجي مراهنة خاسرة فجعل من اللغة والفن رهانة الأوحد ورغم مصادرة روايته الثانية "الخيانة " فقد ظل وفيا لطريقته الصعبة كافرا بما سماه "بالأدب الاستعجالي ".

تمثل روايته "تلك المحبة " '2003' نصا رائدا في موضوعه وفي شكله ومقاربته الفنية وفي سرديته التي تمازج الموروث والحداثي لغة ونظما ،بنفس صوفي بتداخل مع الغرائبي بما وفر لها من إمكانات الكتابة التي تجعلها رواية مختلفة، تقدم صورة أخرى عن جزائر أخرى نابعة في التاريخ المنسي والعمق المجهول في صحراء "أدرار" والنجاح نفسه عرفته روايته "تماسخت" (2002).

وصدر له:في القصة القصيرة "القرار" سوريا(1979)و "الصعود نحو الأسفل " (الجزائر 1981) والبهية تتزين لجلادها (سوريا2000) والموت بالتقسيط (الجزائر 2008) ترجمت بعض أعماله إلى الفرنسية [1].

[1] حمدي السكوت : قاموس الأدب العربي الحديث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ط م،2015، ص2014

ملخص الروايـــــــــة :

ينطلق الروائي الحبيب السائح في روايته "أنا وحاييم " ينوع من الناستالوجيا التي تحمل القارئ إلى تاريخ بعيد في عالم روائي يفوح فيضا لمرحلة ساخنة من تاريخ الجزائر حيث تعتبر هذه الأخيرة نوع من السير الذاتي تحمل علاقات معقدة بين صديقين جمعتهما الظروف ولم يفترقا؛صداقة متلازمة فوق الاعتبار لرجلين تعالقت أواصر المحبة بينهما ولم تجعلهما يفترقان حتى الموت أحدهما أستاذ فلسفة مسلم "أرسلان حنيفي" إبن القايد والصيدلي اليهودي الجزائري الذي تجنس بالهوية الفرنسية"حاييم بن ميمون"اللذان تقاسما طفولتهما في أسمى معاني الحياة(الجيرة – الطعام – الدراسة في مختلف الأطوار :(الابتدائي–الثانوي–الجامعي – دون أن تستثني ذكرياتهما في مواجهة وطأة الاحتلال الفرنسي من عنصرية واستفزاز .....).

ترصد الرواية بعض من جوانب التاريخ الزاخر بالأحداث عبر أمكنة متفرقة (سعيدة–معسكر–وهران–الجزائر) إلا أنّها لم تهمل الجانب الإنساني رغم اختلاف الديانات .

و بخيوط بارعة ينقل لنا الكاتب مسيرتهما على خلفية الاضطهاد خاصة بعد فرض الاستعمار على الجميع معاملة من الدرجة الثانية أو اقل و تحملهما لمختلف النعوت خاصة فترة الدراسة في الجامعة أين لقبا "بالانديجان "وهي صفة محملة بالاستعلاء عليهم إضافة إلى التمييز والعنصرية حتى على "حاييم "الذي تجنس والده بالجنسية الفرنسية كرد فعل لما تعرض له أجدادهم أثناء الحكم العثماني باعتبار"حاييم لا يزال يستعمل إسما

كان على عائلته تغييره باسم أوروبي ،والشيء الذي ولّد في نفس حاييم التشبث بأرض الجزائر ودفعه للانظام إلى جانب صديقه "أرسلان "للمقاومة ولكن بطريقة أخرى أين سخر صيدليته بجميع ممتلكاتها من الأدوية تحت خدمة جبهة التحرير الوطني بشكل سري ومساعدته في معالجة بعض جرحى الجبهة مثل زليخة بنت النضري التي أصبحت فيما بعد زوجة أرسلان .

عبر رسالته أراد الكاتب تقديم صورة الأخر اليهودي كركيزة سردية مفصلة غالى جانب صداقته مع الجزائري المسلم طرحا لكل أنواع التعايش والمواساة في أزمنة الاضطهاد.

حاييم اليهودي الذي رفض السفر مع حبيبته "كولدا" الى ارض الميعاد "فلسطين"شهد ويلات من نوع آخر بعد الاستقلال أين قام بعض المتحمسين الجزائريين بإحراق صيدليته وحصار بيته لقتله .

ظهر حاييم على إثر الواقعة بهيئة المعذب المغشي عليه من الموت بعد تدخل أرسلان وزليخة في الوقت المناسب رافعين مسدسيهما في وجوه هؤلاء الأوغاد اللصوص أين ارتفعت بعدها أصوات الجماهير "هذا اليهودي كان مثله مثل الأقدام السوداء يصل الجنسية الفرنسية ".

"لماذا لا يرحل مثلهم"[1]

وذلك لارتباط اسم حاييم بالكيان المحتل الفرنسي الغاصب الذي سبب الرفض القطعي له

وكما هو مذكور على غلاف الرواية يبدو الروائي مشغولا كأشد ما يكون الانشغال بهاجس الهوية الذي أرادت شخصية "حاييم" من خلالها إثباتها بشتى الطرق إلا أنه وافته المنية بعد زواج صديقه أرسلان من زوليخة أين أصيب بمرض سلطان الدم.

كتب حاييم وصية على شكل رسالة مقدمة إلى صديقه أرسلان مطالبا فيه بدفنه في المقبرة اليهودية بسعيدة أمام والديه إلى جانب رد نصف ممتلكاته إلى حساب أرسلان كرد لجميل مساعدته في إعادة فتح صيدلية والذي اعتبره حاييم سلفة بعد رفضه لأخذ المال من صديقه والنصف الآخر للهلال الأحمر الجزائري.

وما هو ملاحظ أن فصول الرواية تبدو وكأنها تطوي عشرين عاما في ما هو ظاهر من أحداثها بيد أنها في الواقع تمتد من واقعة المروحة منذ عام 1827 م.

---

[1] الحبيب السائح أنا وحاييم ص 225.

إلى اللّحظة الراهنة وبالتالي فالرواية لم تحبك عبثا وإنما جاءت طرحا لتوضيح بعض الأمور منها :

*جاءت تصحيحا لخطا حصل في تصور العرب إلى اليهود بالشكل العام والنظرة الجزائري لنموذج معين من اليهود الذي أحب الجزائر واختار فناء حياته فيها دفاعا عنها.

*رد الاعتبار لليهودي المهمش الذي يعتبر جزءا من التركيبة الاجتماعية الجزائرية .

*غرس مفهوم التعايش السلمي رغم اختلاف الديانات والأطياف .

*تثبيت مفهوم الهوية .

*وبالتالي هي جمع لاسمى معاني الإنسانية التي تقوم بنبذ الميز على أساس الدين والعرق وتناهض الاحتلال وتتبنى تقرير مصير الشعوب .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

❖ المصـــــادر:

1. القرآن الكريم

2. الحبيب السائح: أنا وحاييم ،دار ميم للنشر ،دارمسكيلياني للنشر والتوزيع ،ط1 ،2018

❖ المراجـــــع العربية:

1. أحمد حسن الزيات :دفاع عن البلاغة ،عالم الكتب ،القاهرة ،ط2 ،1967

2. آمنة بلعلى:المتخيل في الرواية الجزائرية (من المتماثل إلى المختلف)،دار الآمال للطباعة والنشر،تيزي وزو ، 2006

3. ابن منظور:لسان العرب ،دار المعارف،القاهرة،المجلد الأول،ط م

4. بغريش ياسمينة :محاضرة المدخل إلى علم الإجتماع لطلاب السنة الأولى ،

a. التعليم القاعدي المشترك ،ميدان العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية ،جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2 السنة الجامعية 2015/2014

5. بن جمعة بوشوشة:التجريب والحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية ،مطبعة المغاربية للطباعة والنشر ،ط1 ،2005

6. بن سالم حميش: في معرفة الآخر ، دار الحوار ،سوريا ،ط2 ،2003

7. جابر عصفور : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ،دار المعارف القاهرة

8. جميل حمداوي :دراسات في النقد الروائي " بين النظرية والتطبيق ، دارنشر المعرفة ، الرباط ، دط ،2013

9. جميل حمداوي : نظريات الرواية ،د، دار النشر ،ط1 ،2016

10. حمدي السكوت :قاموس الأدب العربي الحديث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط م ،2015

11. حسن حنفي حسنين :الهوية ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط1 ، 2012

12. سعد البازغي : الإختلاف الثقافي وثقافة الإختلاف ، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، دت.

13. شعيب حليفي : هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل ، دار الثقافة ، المغرب ، 2005

14. شرفي عبد الكريم :مفهوم التناص ، (من حوارية ميخائيل باختين إلى أطراس جيرار جنيت)،دورية دراسات أدبية ، دار الخلدونية للنشر والتوزيع ، القبة ، الجزائر ، ع2 ، 2008

15. صدوق نور الدين: البداية في النص الروائي ، دار الحوار للنشر والتوزيع ،سورية،ط1، 1994.

16. صلاح صالح :سرد الآخر الأنا والآخرعبر اللغة السردية ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء المغرب ، ط1 ،2003

17. عبد الحميد جيدة : الإتجاهات الجديدة في الشعر المعاصر ،دار الآفاق الجديد بيروت ، ط1 ، 1998

18. عبد الرحمان بن خلدون: مقدمة بن خلدون ،تح: ابي عبد الرحمان عادل بن سعد، الدار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع ،القاهرة ، 2006

19. عبد الملك مرتاض : نظرية القراءة ،دار العرب للنشر والتوزيع ،هران ، الجزائر ، 2003

20. عامر مخلوف : الرواية والتحولات في الجزائر، منشورات إتحاد الكتاب العرب دط، دمشق ،2000

21. عيسى الشماس :مدخل إلى علم الإنسان (الانثربولوجيا)-دراسة-،منشورات إتحاد الكتاب العرب ،دمشق ،دط ، 2004

22. فاضل ثامر :المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي ،دار المدى للثقافة والنشر ، سورية ، دمشق ، ط1 ،2004 .

23. فرج عبد القادر طه وآخرون : معجم علم النفس والتحليل النفسي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1 دت

24. ماجدة حمود : إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، عالم المعرفة ، دط، 2013

25. ماجدة حمود : صورة الآخر للتراث العربي، دار العربية للعلوم الناشرون ، ش م ل، ط1 ، 2010م ، 1431هـ

26. مالك بن نبي : مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 1988

27. محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس ، تح : عبد الكريم العزباوي ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب،الكويت ط1، 2000م ، 1421هـ، الجزء الثاني والثلاثون .

28. مجمع اللغة العربية :معجم الوسيط ، جمهورية مصر العربية ، ط1 ،1980، باب "الألف "

29. محمد صابر عبيد ، سوسن البياتي :جماليات التشكيل الروائي ،عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، اربد ، ط1 ، 2012

30. منصور الحلو : حوارالحضارات، منشأة المعارف ، الإسكندرية، دط ، 2007

31. نادر كاظم : الهوية والسرد ، دار الفراشة للنشر والتوزيع ، ط2 ، 2016

32. نزيه أبو نضال : التحولات في الرواية العربية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1 ، 2006

33. هبة عادل : أسرار الفلسفة التوفيقية المعاصرة (فلسفة الآخر ، الغير، الأنا)

جامعة بغداد، كلية الآداب

❖ **المراجع الأجنبيـــــة :**

1. أرمـــان مـــاتلار: التنـــوع الثقـــافي والعولمـــة ،ت:خليـــل أحمـــد خليـــل خليـــل،دار الفرابي،بيروت،ط1 ،2008.

2. ايكـة هـولتكرانس: قـاموس المصـطلحات الإثنولوجيـا والفولكلـور،تر ،محمـد الجـوهري حسن الشامي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ،ط2 ،دت

3. بيـل أشـكروفت،بال أهلويـا :إدوارد سـعيد "مفارقـة الهويـة ، ت : سـهيل نجـم ،نينـوى للدراسات للنشر والتوزيع ، دار الكتاب العربي، ط1، 2002

4. تسـيليفيان آغاسانسـكي :نقد المركزيـة حدث الآخـر ، ت: منـذر عياشـي ،دار نينـوى للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط6 ، 2006

5. جان بول ساتر : الوجود والعدم بحث في الأنطولوجيا الظاهراتية ،ت: عبد الرحمان بدوي ، منشورات دار الآداب ، بيروت ، ط1 ، أغسطس 1966

❖ **الرسائل الجامعيـــــــة :**

1. أنـس محمـد شـحادة : التعـاطف والنرجسية وعلاقتهـا بالرضـا المهنـي لـدى عينـة مـن المشـردين النفسـيين فـي مـدارس محافظـة دمشـق الرسـمية ،رسـالة مقدمـة لنيـل شـهادة الماجستير في الإرشاد النفسي ، جامعة دمشق ، مديرية التربية، كلية التربية قسم الإرشاد النفسي .السنة الدراسية 2015/2016

2. سعد سامي محمد :الأنا والآخر في المعلقات والنشر ،رسالة ماجستير ،إشراف جنان محمد عبد الجليل :قسم اللغة العربية وآدابها ،جامعة البصرة ،العراق ،2012

3. جان بيلمان نويل :التحليل النفسي والأدب، ت: حسن المودن ، المجلس الأعلى للثقافة ، المشروع القومي للترجمة ،دط ، 1997

4. غاستون باشلار: جماليات المكان، ت: غالب هيلسا ، المؤسسات الجامعية للدراسات للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط6 ، 2006.

❖ **المواقع الإلكترونيـــــة :**

1. https://www.arab48.com

2. https://www.alhiwartoday.net

3. https://www.alqudes.co.uk

4. https://wwwdiwanalarab.com

5. https ://www.m.alhiwar.org

6. https://www.omarboudiba.blogspot.com

7. https://www.utraalgeria.ultrasawt.com

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وتقدير

الإهداء

مقدمـــة.....أ

الفصل التمهيدي: الرواية الجزائرية المعاصرة.....8

فترة السبعينيات: 12

ب-فترة الثمانينات 15

مرحلة التسعينات 17

الفصل الأول: صورة الأخر في مرآة ثقافة الأنا 25

مفهوم صورة الآخر: 25

1-مفهوم الصورة : 25

2 - مفهوم الآخر: 27

2-5:مفهوم صورة الآخرة : 34

1-مفهوم الثقافة: 36

1-3 -الهوية : 38

2-حوار الحضارات : 46

الفصل الثاني : الصورة الإجتماعية والنفسية للآخر 61

1-الصورة الإجتماعية للآخر: 61

1-1-المفاهيم العامة لعلم الاجتماع:..... 62

1-2- سوسيولوجيا الأدب والرواية: 64

1-3- تحولات المنظور الاجتماعي للأخر في رواية "أنا وحاييم": 70

*صورة اليهودي المناضل الوطني "الصديق 70

*صورة اليهودي الاندماجي : 73

صورة العنف "اليهودية المتصهينة: 74

*صورة اليهودي الساقط:..... 74

*صورة اليهودي الجشع 75

2- الصورة النفسية : 76

2-1-سيكولوجية الآخر 76

2-2 مفهوم القراءة النفسية :..... 78

2-3 القراءة النفسية للرواية المعاصرة : 79

2-4-الصورة النفسية للأخر في رواية :"أنا وحاييم " 83

أ-التحليل النفسي للشخصية الرئيسية : 83

*-الازدواجية العاطفية..... 83

*-الإحساس بالكبت والقهر: 86

ب التحليل النفسي للشخصيات الثانوية: 89

«الاستعلاء: 89

*الجشـــع: 91

*المراوغة والخداع : 92

*ا لحـــقـد: 93

الملحق 100

السيرة الذاتية للروائي : الحبيب السائح..... 100

ملخص الروايـــــة : 102

الخاتمة..... 97

قائمة المصادر والمراجع 107

فهرس المحتويات 114